(٨٥) سورة البروج مكية
وآياتها اثنتان وعشرون

● **هذه** السورة الكريمة من السور المكية ، وهي تعرض لحقائق العقيدة الإسلامية ، ولواجبات المسلم حول إيمانه وعقيدته التي ينبغي أن يضحي من أجلها بكل غالٍ ورخيص ، والمحورُ الذي تدور عليه السور الكريمة هو حادث « أصحاب الأخدود » وهي قصة التضحية بالنفس في سبيل العقيدة والإيمان .

● **ابتدأت** السورة الكريمة بالقسم بالسماء ذات النجوم الهائلة ، ومداراتها الضخمة التي تدور فيها تلك الأفلاك ، وباليوم العظيم المشهود وهو يوم القيامة ، وبالرسل والخلائق التي تشهد ضخامة ذلك اليوم ، على هلاك ودمار المجرمين الذين طرحوا المؤمنين في النار المتأججة ليفتنوهم عن دينهم ﴿ والسماء ذات البروج . واليوم الموعود . وشاهد ومشهود . قُتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود . وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد .. ﴾ الآيات .

● **ثم تلاها** الوعيد والإنذار لأولئك الفجار على فعلتهم القبيحة الشنيعة ﴿ إنَّ الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴾ .

● **وبعد** ذلك تحدثت عن قدرة الله على الانتقام من أعدائه الذين

قتنوا عباده وأولياءه ﴿إن بطش ربك لشديد . إنه هو يبدىء ويعيد . وهو الغفور الودود . ذو العرش المجيد﴾ .

● **وختمت** السورة الكريمة بقصة فرعون الطاغية الجبار ، وما أصابه وقومه من الهلاك والدمار بسبب البغي والطغيان ﴿هل أتاك حديث الجنود . فرعون وثمود . بل الذين كفروا في تكذيب . والله من ورائهم محيط . بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ وهو ختم رائع يناسب موضوع السورة الكريمة .

سورة البروج

عشرون وآيتان مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ ﴾

اعلم أن المقصود من هذه السورة تسلية النبي ﷺ وأصحابه عن إيذاء الكفار وكيفية تلك التسلية هي أنه تعالى بين أن سائر الأمم السالفة كانوا كذلك مثل أصحاب الأخدود ومثل فرعون ومثل ثمود، وختم ذلك بأن بين أن كل الكفار كانوا في التكذيب، ثم عقب هذا الوجه بوجه آخر، وهو قوله: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ [البروج: ٢٠] ذكر وجها ثالثا وهو أن هذا شيء مثبت في اللوح المحفوظ ممتنع التغيير وهو قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج: ٢١] فهذا ترتيب السورة.

اعلم أن في البروج ثلاثة أقوال: **أحدها:** أنها هي البروج الاثنا عشر وهي مشهورة، وإنما حسن القسم بها لما فيها من عجيب الحكمة، وذلك لأن سير الشمس فيها، ولا شك أن مصالح العالم السفلي مرتبطة بسير الشمس، فيدل ذلك على أن لها صانعًا حكيمًا، قال الجبائي: وهذه اليمين واقعة على السماء الدنيا لأن البروج فيها. واعلم أن هذا خطأ وتحقيقه ذكرناه في قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦]، **وثانيها:** أن البروج هي منازل القمر، وإنما حسن القسم بها لما في سير القمر وحركته من الآثار العجيبة. **وثالثها:** أن البروج هي عظام الكواكب سميت بروجًا لظهورها. وأما اليوم الموعود فهو يوم القيامة، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ، قال القفال: يحتمل أن يكون المراد واليوم الموعود لانشقاق السماء وفنائها وبطلان بروجها. وأما الشاهد والمشهود، فقد اضطرب أقاويل المفسرين فيه، والقفال أحسن الناس كلامًا فيه، قال: إن الشاهد يقع على شيئين: **أحدهما:** الشاهد الذي تُثبت به الدعاوى والحقوق. **والثاني:** الشاهد الذي هو بمعنى الحاضر، كقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الأنعام: ٧٣] ويقال: فلان شاهد وفلان غائب، وحَمْل الآية على هذا الاحتمال الثاني أَوْلى، إذ لو كان المراد هو الأول لما خلا لفظ المشهود عن حرف الصلة، فيقال: مشهود عليه، أو مشهود له. هذا هو الظاهر، وقد يجوز أن يكون المشهود معناه المشهود عليه فحذفت الصلة، كما في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤] أي مسئولاً عنه، إذا عرفت هذه المقدمة فنقول: إن حملنا الشهود على الحضور احتملت الآية وجوهًا من التأويل: **أحدها:** أن المشهود هو يوم القيامة، والشاهد هو الجمع الذي يحضرون فيه، وهو مروي عن ابن عباس والضحاك، ويدل على صحة هذا الاحتمال وجوه: **الأول:** أنه لا حضور أعظم من ذلك الحضور، فإن الله تعالى يجمع فيه

خلق الأولين والآخرين من الملائكة والأنبياء والجن والإنس، وصَرْف اللفظ إلى المسمى الأكمل أَوْلى. **والثاني:** أنه تعالى ذكر اليوم الموعود، وهو يوم القيامة، ثم ذكر عقيبه: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ وهذا يناسب أن يكون المراد بالشاهد من يحضر في ذلك اليوم من الخلائق، وبالمشهود ما في ذلك اليوم من العجائب. **الثالث:** أن الله تعالى وصف يوم القيامة بكونه مشهودًا في قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[مريم: ٣٧] وقال: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾[هود: ١٠٣] وقال: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾[الإسراء: ٥٢] وقال: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[يس: ٥٣] وطريق تنكيرهما إما ما ذكرناه في تفسير قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾[التكوير: ١٤] كأنه قيل: وما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود، وإما الإبهام في الوصف كأنه قيل: وشاهد ومشهود لا يُكتنه وصفهما، وإنما حسن القسم بيوم القيامة للتنبيه على القدرة إذ كان هو يوم الفصل والجزاء ويوم تفرد الله تعالى فيه بالملك والحكم، وهذا الوجه اختيار ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن بن علي وابن المسيب والضحاك والنخعي والثوري. **وثانيها:** أن يفسر المشهود بيوم الجمعة، وهو قول ابن عمر وابن الزبير، وذلك لأنه يوم يشهده المسلمون للصلاة ولذكر الله، ومما يدل على كون هذا اليوم مسمى بالمشهود خبران: **الأول:** ما روى أبو الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَإِنَّهُ يَوْمٌ مَشْهُودٌ، تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ**»(١) **والثاني:** ما روى أبو هريرة أنه ﷺ قال: «**تَحْضُرُ الْمَلَائِكَةُ أَبْوَابَ الْمَسْجِدِ فَيَكْتُبُونَ النَّاسَ، فَإِذَا خَرَجَ الْإِمَامُ طُوِيَتِ الصُّحُفُ**»(٢) وهذه الخاصية غير موجودة إلا في هذا اليوم، فيجوز أن يسمى مشهودًا لهذا المعنى، قال الله تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[الإسراء: ٧٨] وروى: «**أَنَّ مَلَائِكَةَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَحْضُرُونَ وَقْتَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، فَسُمِّيَتْ هَذِهِ الصَّلَاةُ مَشْهُودَةً لِشَهَادَةِ الْمَلَائِكَةِ**» فكذا يوم الجمعة. **وثالثها:** أن يفسر

---

(١) **حسن لغيره:** أخرجه ابن ماجه في (سننه) (١/ ٥٢٤) حديث رقم (١٦٣٧) من طريق عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي عن أبي الدرداء... به، وأورده ابن كثير في (تفسيره) (٦/ ٤٧٣) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وفيه انقطاع بين عبادة بن نسي وأبي الدرداء فإنه لم يدركه. قلت: وله شاهد من حديث أوس... بنحوه. صحيح، أخرجه أبو داود في كتاب (الصلاة) باب (فضل يوم الجمعة وليلته) (١/ ٧٧٥) حديث رقم (١٠٤٧) من طريق هارون بن عبد الله... به والنسائي في كتاب (الجمعة) باب (إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة) (٢/ ١٩٧) حديث رقم (١٣٧٣)، وابن ماجه في كتاب (الإقامة) باب (في فضل يوم الجمعة) (١/ ٣٤٥) حديث رقم (١٠٨٥) من طريق أبي بكر بن أبي شيبة... به والدارمي في كتاب (الصلاة) باب (فضل الجمعة) (١/ ٤٤٥) حديث رقم (١٥٧٢) من طريق عثمان بن محمد... به، وأحمد في (مسنده) (٤/ ٨) جميعا (هارون، أبو بكر، عثمان، أحمد بن حنبل) قالوا: حدثنا حسين الجعفي عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس قال: قال رسول الله ﷺ... بنحوه.

(٢) **متفق عليه:** أخرجه البخاري في كتاب (الجمعة) باب (الاستماع إلى الخطبة) (٢/ ٤٩٤) حديث رقم (٩٢٩) من طريق ابن أبي ذئب... به ومسلم في كتاب (الجمعة) باب (فضل التهجير يوم الجمعة) (٢/ ٢٤/ ٥٨٧) من طريق يونس... به، جميعًا (ابن أبي ذئب، يونس، معمر) عن الزهري... به.

المشهود بيوم عرفة والشاهد من يحضره من الحاج، وحسُن القسم به تعظيمًا لأمر الحج، روي أن الله تعالى يقول للملائكة يوم عرفة: «انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي شُعْثًا غُبْرًا أَتَوْنِي مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. وَأَنَّ إِبْلِيسَ يَصْرُخُ وَيَضَعُ التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ لِمَا يَرَى مِنْ ذَلِكَ» والدليل على أن يوم عرفة مسمى بأنه مشهود قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨]. ورابعها: أن يكون المشهود يوم النحر، وذلك لأنه أعظم المشاهد في الدنيا فإنه يجتمع أهل الشرق والغرب في ذلك اليوم بمنى والمزدلفة وهو عيد المسلمين، ويكون الغرض من القسم به تعظيم أمر الحج. وخامسها: حمل الآية على يوم الجمعة ويوم عرفة ويوم النحر جميعًا لأنها أيام عظام فأقسم الله بها كما أقسم بالليالي العشر والشفع والوتر، ولعل الآية عامة لكل يوم عظيم من أيام الدنيا ولكل مقام جليل من مقاماتها وليوم القيامة أيضًا لأنه يوم عظيم، كما قال: ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٥، ٦] وقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ٣٧] ويدل على صحة هذا التأويل خروج اللفظ في الشاهد والمشهود على النكرة، فيحتمل أن يكون ذلك على معنى أن القصد لم يقع فيه إلى يوم بعينه فيكون معرفًا، أما الوجه الأول: وهو أن يُحمل الشاهد على من تثبت الدعوى بقوله، فقد ذكروا على هذا التقدير وجوهًا كثيرة: أحدها: أن الشاهد هو الله تعالى لقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] وقوله: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٩] وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] والمشهود هو التوحيد؛ لقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨] والنبوة: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الرعد: ٤٣] وثانيها: أن الشاهد محمد ﷺ، والمشهود عليه سائر الأنبياء؛ لقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] ولقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ [الفتح: ٨] وثالثها: أن يكون الشاهد هو الأنبياء، والمشهود عليه هو الأمم، لقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]. ورابعها: أن يكون الشاهد هو جميع الممكنات والمحدثات، والمشهود عليه واجب الوجود، وهذا احتمال ذكرته أنا وأخذته من قول الأصوليين: (هذا الاستدلال بالشاهد على الغائب) وعلى هذا التقدير يكون القسم واقعًا بالخلق والخالق، والصنع والصانع. وخامسها: أن يكون الشاهد هو المَلَك؛ لقوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١] والمشهود عليه هم المكلفون. وسادسها: أن يكون الشاهد هو المَلَك، والمشهود عليه هو الإنسان الذي تشهد عليه جوارحه يوم القيامة، قال: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ [النور: ٢٤] ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٢١] وهذا قول عطاء الخراساني. وأما الوجه الثالث: وهو أقوال مبنية على الروايات لا على الاشتقاق، فأحدها: أن الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، روى أبو موسى الأشعري أنه عليه الصلاة والسلام قال: «الْيَوْمُ الْمَوْعُودُ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَالشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَالْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ

ذَخِيرَةُ اللَّهِ لَنَا»(١) وعن أبي هريرة مرفوعًا قال: «الْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّاهِدُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلاَ غَرَبَتْ عَلَى أَفْضَلَ مِنْهُ، فِيهِ سَاعَةٌ لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يَدْعُو اللَّهَ بِخَيْرٍ إِلاَّ اسْتَجَابَ لَهُ، وَلاَ يَسْتَعِيذُ مِنْ شَرٍّ إِلاَّ أَعَاذَهُ مِنْهُ»(٢) وعن سعيد بن المسيب مرسلاً عن النبي ﷺ قال: «سَيِّدُ الأَيَّامِ يَوْمُ الْجُمُعَةِ وَهُوَ الشَّاهِدُ، وَالْمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفَةَ»(٣) وهذا قول كثير من أهل العلم كعلي بن أبي طالب عليه السلام، وأبي هريرة وابن المسيب والحسن البصري والربيع بن أنس، قال قتادة: شاهد ومشهود: يومان عظَّمهما الله من أيام الدنيا، كما يحدث أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة. **وثانيها:** أن الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم النحر وذلك لأنهما يومان عظَّمهما الله وجعلهما من أيام أركان أيام الحج، فهذان اليومان يشهدان لمن يحضر فيهما بالإيمان واستحقاق الرحمة، وروي أنه عليه السلام ذبح كبشين(٤)، وقال في أحدهما: «هَذَا عَمَّنْ يَشْهَدُ لِي بِالْبَلاَغِ» فيحتمل لهذا المعنى أن يكون يوم النحر شاهدًا لمن حضره بمثل ذلك لهذا الخبر. **وثالثها:** أن الشاهد هو عيسى لقوله تعالى حكاية عنه: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[المائدة: ١١٧]، **ورابعها:** الشاهد هو الله والمشهود هو يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾[يس: ٥٢] وقوله: ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ﴾[المجادلة: ٧]، **وخامسها:** أن الشاهد هو الإنسان، والمشهود هو التوحيد لقوله تعالى: ﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ﴾[الأعراف: ١٧٢] **وسادسها:** أن الشاهد الإنسان والمشهود هو يوم القيامة، أما كون الإنسان شاهدًا فلقوله تعالى: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۛ﴾[الأعراف: ١٧٢] وأما كون يوم القيامة مشهودًا فلقوله: ﴿أَن تَقُولُواْ

(١) أخرجه الترمذي في (سننه) (٥/ ٤٣٦) حديث رقم (٣٣٣٩) من طريق روح بن عبادة وعبيدة بن موسى عن موسي بن عبيدة عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة... به، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسي بن عبيدة، وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث، ضعفه يحيى بن سعيد وغيره ورواه الطبراني في (الكبير) (٣/ ٢٩٨) والطبري في (تفسيره) (٣٠/ ٨٢) من طريق هاشم بن مرثد عن محمد بن إسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري... به، وفي إسناده ضعف وانقطاع.

(٢) تقدم قريبًا.

(٣) صحيح مرسل: أخرجه الطبري في (تفسيره) (٣٠/ ١٢٩) من طريق ابن أبي فديك عن ابن حرملة عن سعيد... به وأيضًا في (٣٠/ ١٣٠) من طريق سفيان عن عبد الرحمن بن حرملة... به والشافعي في (مسنده) (١/ ٧٢) قال: أخبرنا إبراهيم بن محمد حدثنا عبد الرحمن بن حرملة... به وابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٤٧٦) حديث رقم (٥٥٥١) من طريق عبد الرحمن بن حرملة عن المسيب... به والبيهقي في السنن والآثار (٥/ ٢١٥) حديث رقم (١٨٤٢) من طريق إبراهيم بن محمد حدثنا عبد الرحمن بن حرملة... به، وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات إلى سعيد بن المسيب وقالوا: إن مراسيل سعيد بن المسيب صحيحة والله أعلم.

(٤) إسناده ضعيف: أخرجه أبو داود في كتاب (الضحايا) باب (ما يُستحب من الضحايا) (٣/ ١٢١٩) حديث رقم (٢٧٩٥) وابن ماجه في كتاب (الأضاحي) باب (أضاحي الرسول ﷺ) (٢/ ١٠٤٣) حديث رقم (٣١٢١) وأحمد في (مسنده) (٣/ ٣٧٥) والدارمي في (سننه) (٢/ ١٠٣) حديث رقم (١٩٤٦) وابن خزيمة في (صحيحه) (٤/ ٢٨٧) حديث رقم (٢٨٩٩) جميعًا من طريق محمد بن إسحاق... به، وفي إسناده محمد بن إسحاق مدلس، وقد عنعنه وأبو عباس المعافري المصري وهو مجهول.

﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]فهذه هي الوجوه الملخصة، والله أعلم بحقائق القرآن.

قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾

اعلم أنه لا بد للقسم من جواب، واختلفوا فيه على وجوه: **أحدها:** ما ذكره الأخفش وهو أن جواب القسم قوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ واللام مضمرة فيه، كما قال: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس: ١] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩]يريد: لقد أفلح، قال: وإن شئت على التقديم كأنه قيل: قُتل أصحاب الأخدود والسماء ذات البروج. **وثانيها:** ما ذكره الزجاج، وهو أن جواب القسم: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢]وهو قول ابن مسعود وقتادة. **وثالثها:** أن جواب القسم قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا﴾ [البروج: ١٠]الآية، كما تقول: والله إن زيدًا لقائم، إلا أنه اعترض بين القسم وجوابه قولُه: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا﴾ [البروج: ١٠] **ورابعها:** ما ذكره جماعة من المتقدمين أن جواب القسم محذوف، وهذا اختيار صاحب (الكشاف) إلا أن المتقدمين قالوا: ذلك المحذوف هو أن الأمر حق في الجزاء على الأعمال وقال صاحب (الكشاف): جواب القسم هو الذي يدل عليه قوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ كأنه قيل: أُقسم بهذه الأشياء، أن كفار قريش ملعونون كما لُعن أصحاب الأخدود. وذلك لأن السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان حتى يقتدوا بهم ويصبروا على أذى قومهم، ويعلموا أن كفار مكة عند الله بمنزلة أولئك الذين كانوا في الأمم السالفة يحرقون أهل الإيمان بالنار، وأحقاء بأن يقال فيهم: قتلت قريش كما ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾.

أما قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾، ففيه مسائل:

المسألة الأولى: ذكروا قصة أصحاب الأخدود على طرق متباينة، ونحن نذكر منها ثلاثة:

أحدها: أنه كان لبعض الملوك ساحر، فلما كبر ضُم إليه غلام ليعلمه السحر، وكان في طريق الغلام راهب، فمال قلب الغلام إلى ذلك الراهب، ثم رأى الغلام في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فأخذ حجرًا وقال: اللهم إن كان الراهب أحب إليك من الساحر فقوني على قتلها بواسطة رمي الحجر إليها! ثم رمى فقتلها، فصار ذلك سببًا لإعراض الغلام عن السحر واشتغاله بطريقة الراهب، ثم صار إلى حيث يبرئ الأكمه والأبرص ويشفي من الأدواء، فاتفق أن عمي جليس للملك فأبرأه، فلما رآه الملك قال: من رد عليك نظرك؟ فقال: (ربي) فغضب فعذبه، فدل على الغلام فعذبه، فدل على الراهب فأحضر الراهب وزجره عن دينه فلم يقبل الراهب قوله، فقد بالمنشار، ثم أتوا بالغلام إلى جبل ليطرح من ذروته، فدعا الله فرجف بالقوم فهلكوا ونجا، فذهبوا به إلى سفينة لجججوا بها ليغرقوه، فدعا الله فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا، فقال

للملك: لستَ بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهمًا من كنانتي، وتقول: باسم الله رب الغلام، ثم ترميني به. فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات، فقال الناس: آمنا برب الغلام!! فقيل للملك: نزل بك ما كنت تحذر، فأمر بأخاديد في أفواه السكك، وأوقدت فيها النيران، فمن لم يرجع منهم طرحه فيها، حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست أن تقع فيها، فقال الصبي: يا أماه اصبري فإنك على الحق!! فصبرت على ذلك.

الرواية الثانية: روي عن علي عليه السلام أنهم حين اختلفوا في أحكام المجوس قال: هم أهل الكتاب، وكانوا متمسكين بكتابهم، وكانت الخمر قد أُحلت لهم فتناولها بعض ملوكها فسكر فوقع على أخته، فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له: المخرج أن تخطب الناس فتقول: إن الله تعالى قد أحل نكاح الأخوات. ثم تخطبهم بعد ذلك فتقول: بعد ذلك حرمه. فخطب فلم يقبلوا منه ذلك فقالت له: ابسط فيهم السوط. فلم يقبلوا، فقالت: ابسط فيهم السيف. فلم يقبلوا، فأمرته بالأخاديد وإيقاد النيران وطرح من أتى فيها الذين أرادهم الله بقوله: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ . **الرواية الثالثة:** أنه وقع إلى نجران رجل ممن كان على دين عيسى، فدعاهم فأجابوه فصار إليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيَّرهم بين النار واليهودية فأبوا، فأحرق منهم اثني عشر ألفًا في الأخاديد، وقيل سبعين ألفًا، وذُكر أن طول الأخدود أربعون ذراعًا وعرضه اثنا عشر ذراعًا، وعن النبي ﷺ: **«أَنَّهُ كَانَ إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، تَعَوَّذَ بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ»**(1) .

فإن قيل: تعارض هذه الروايات يدل على كذبها. **قلنا:** لا تعارض فقيل: إن هذا كان في ثلاث طوائف ثلاث مرات، مرة باليمن، ومرة بالعراق، ومرة بالشام، ولفظ الأخدود وإن كان واحدًا إلا أن المراد هو الجمع وهو كثير من القرآن، وقال القفال: ذكروا في قصة أصحاب الأخدود روايات مختلفة وليس في شيء منها ما يصح إلا أنها متفقة في أنهم قوم من المؤمنين خالفوا قومهم أو ملكًا كافرًا كان حاكمًا عليهم فألقاهم في أخدود وحفر لهم. ثم قال: وأظن أن تلك الواقعة كانت مشهورة عند قريش، فذكر الله تعالى ذلك لأصحاب رسوله تنبيهًا لهم على ما يلزمهم من الصبر على دينهم واحتمال المكاره فيه، فقد كان مشركو قريش يؤذون المؤمنين على حسب ما اشتهرت به الأخبار من مبالغتهم في إيذاء عمار وبلال.

المسألة الثانية: الأخدود: الشق في الأرض يُحفر مستطيلًا، وجمعه الأخاديد، ومصدره الخد وهو الشق، يقال: خد في الأرض خدًّا، وتخدد لحمه، إذا صار طرائق كالشقوق.

المسألة الثالثة: يمكن أن يكون المراد بأصحاب الأخدود القاتلين، ويمكن أن يكون المراد بهم المقتولين، والرواية المشهورة أن المقتولين هم المؤمنون، وروي أيضًا أن المقتولين هم الجبابرة لأنهم لما ألقوا المؤمنين في النار عادت النار على الكفرة فأحرقتهم ونجى الله المؤمنين

---

(1) **إسناده ضعيف**: أخرجه ابن أبي شيبة في (المصنف) (٧/ ٧٩) حديث رقم (٣٤٣٣٣) من طريق عوف عن الحسن... به، وهذا من مراسيل الحسن، ومراسيله ضعيفة.

منها سالمين، وإلى هذا القول ذهب الربيع بن أنس والواقدي، وتأولوا قوله: ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠]أي لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا.

إذا عرفت هذه المقدمة فنقول: ذكروا في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ وجوهًا ثلاثة وذلك لأنا إما أن نفسر أصحاب الأخدود بالقاتلين أو بالمقتولين، أما على الوجه الأول ففيه تفسيران: أحدهما: أن يكون هذا دعاء عليهم، أي لُعن أصحاب الأخدود، ونظيره قوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس: ١٧]﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠] **والثاني**:أن يكون المراد أن أولئك القاتلين قُتلوا بالنار على ما ذكرنا أن الجبابرة لما أرادوا قتل المؤمنين بالنار عادت النار عليهم فقتلتهم، وأما إذا فسرنا أصحاب الأخدود بالمقتولين كان المعنى أن أولئك المؤمنين قُتلوا بالإحراق بالنار، فيكون ذلك خبرًا لا دعاء.

المسألة الرابعة: قرئ (قُتِّلَ) بالتشديد.

أما قوله تعالى:﴿ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾، ففيه مسائل:

المسألة الأولى: النار إنما تكون عظيمة إذا كان هناك شيء يُحترق بها إما حطب أو غيره، فالوَقود اسم لذلك الشيء لقوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]وفي: ﴿ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ تعظيم أمر ما كان في ذلك الأخدود من الحطب الكثير.

المسألة الثانية: قال أبو علي: هذا بدل الاشتمال، كقولك: (سُلب زيد ثوبه) فإن الأخدود مشتمل على النار.

المسألة الثالثة: قرئ الوقود بالضم.

أما قوله تعالى:﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾، ففيه مسألتان:

المسألة الأولى: العامل في (إذ) قُتل والمعنى لُعنوا في ذلك الوقت الذي هم فيه قعود عند الأخدود يعذبون المؤمنين.

المسألة الثانية: في الآية إشكال وهو أن قوله: ﴿ هُمْ﴾ ضمير عائد إلى أصحاب الأخدود، لأن ذلك أقرب المذكورات والضمير في قوله: ﴿ عَلَيْهَا﴾ عائد إلى النار فهذا يقتضي أن أصحاب الأخدود كانوا قاعدين على النار، ومعلوم أنه لم يكن الأمر كذلك. **والجواب: من وجوه: أحدها:** أن الضمير في (هم) عائد إلى أصحاب الأخدود، لكن المراد ههنا من أصحاب الأخدود المقتولون لا القاتلون فيكون المعنى إذ المؤمنون قعود على النار يحترقون مطرحون على النار **وثانيها**: أن يجعل الضمير في ﴿ عَلَيْهَا﴾ عائد إلى طرف النار وشفيرها والمواضع التي يمكن الجلوس فيها، ولفظ (على) مشعر بذلك تقول: (مررت عليها) تريد مستعليًا بمكان يقرب منه، فالقائلون كانوا جالسين فيها وكانوا يعرضون المؤمنين على النار، فمن كان يترك دينه تركوه ومن كان يصبر على دينه ألقوه في النار. **وثالثها**:هب أنا سلَّمنا أن الضمير في (هم) عائد إلى أصحاب الأخدود بمعنى القاتلين، والضمير في (عليها) عائد إلى النار، فلمَ لا يجوز أن يقال: إن أولئك القاتلين كانوا قاعدين على النار، فإنا بينا أنهم لما ألقوا المؤمنين في النار ارتفعت النار إليهم

فهلكوا بنفس ما فعلوه بأيديهم لأجل إهلاك غيرهم، فكانت الآية دالة على أنهم في تلك الحالة كانوا ملعونين أيضًا، ويكون المعنى أنهم خسروا الدنيا والآخرة. **ورابعها:** أن تكون (على) بمعنى عند، كما قيل في قوله: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ﴾ [الشعراء: ١٤] أي عندي.

أما قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ فاعلم أن قوله: ﴿شُهُودٌ﴾ يحتمل أن يكون المراد منه حضور، ويحتمل أن يكون المراد منه الشهود الذين تثبت الدعوى بشهادتهم.

أما على الوجه الأول: فالمعنى أن أولئك الجبابرة القاتلين كانوا حاضرين عند ذلك العمل يشاهدون ذلك فيكون الغرض من ذكر ذلك أحد أمور ثلاثة: إما وصفهم بقسوة القلب إذ كانوا عند التعذيب بالنار حاضرين مشاهدين له، وإما وصفهم بالجد في تقرير كفرهم وباطلهم حيث حضروا في تلك المواطن المنفرة والأفعال الموحشة، وإما وصف أولئك المؤمنين المقتولين بالجد في دينهم والإصرار على حقهم، فإن الكفار إنما حضروا في ذلك الموضع طمعًا في أن هؤلاء المؤمنين إذا نظروا إليهم هابوا حضورهم واحتشموا من مخالفتهم، ثم إن أولئك المؤمنين لم يلتفتوا إليهم وبقوا مصرين على دينهم الحق، فإن قلت: المراد من الشهود إن كان هذا المعنى، فكان يجب أن يقال: (وهم لما يفعلون شهود) ولا يقال: (وهم على ما يفعلون شهود؟) قلنا: إنما ذكر لفظة (على) بمعنى أنهم على قبح فعلهم بهؤلاء المؤمنين - وهو إحراقهم بالنار - كانوا حاضرين مشاهدين لتلك الأفعال القبيحة.

أما الاحتمال الثاني: وهو أن يكون المراد من الشهود الشهادة التي تثبت الدعوى بها، ففيه وجوه: **أحدها:** أنهم جعلوا شهودًا يشهد بعضهم لبعض عند الملك أن أحدًا منهم لم يفرط فيما أمر به وفوض إليه من التعذيب. **وثانيها:** أنهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، **وثالثها:** أن هؤلاء الكفار مشاهدون لما يفعلون بالمؤمنين من الإحراق بالنار حتى لو كان ذلك من غيرهم لكانوا شهودًا عليه، ثم مع هذا لم تأخذهم بهم رأفة، ولا حصل في قلوبهم ميل ولا شفقة.

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾

المعنى وما عابوا منهم وما أنكروا الإيمان، كقوله:

وَلاَ عَيبَ فِيهِمْ غَيرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ[1]

ونظيره قوله تعالى: ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٥٩] وإنما قال: ﴿إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟﴾ لأن التعذيب إنما كان واقعًا على الإيمان في المستقبل، ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوا على ما مضى، فكأنه قيل: إلا أن يدوموا على إيمانهم. وقرأ أبو حيوة: (نقموا) بالكسر، والفصيح

(١) هذا البيت للنابغة الجاهلي وقد سبق ترجمته.

هو الفتح، ثم إنه ذكر الأوصاف التي بها يستحق الإله أن يؤمن به ويعبد: **فأولها:** العزيز وهو القادر الذي لا يُغلب، والقاهر الذي لا يُدفع، وبالجملة فهو إشارة إلى القدرة التامة. **وثانيها:** الحميد وهو الذي يستحق الحمد والثناء على ألسنة عباده المؤمنين، وإن كان بعض الأشياء لا يحمده بلسانه فنفسه شاهدة على أن المحمود في الحقيقة هو هو، كما قال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] وذلك إشارة إلى العلم لأن من لا يكون عالمًا بعواقب الأشياء لا يمكنه أن يفعل الأفعال الحميدة، فالحميد يدل على العلم التام من هذا الوجه. **وثالثها:** الذي له ملك السموات والأرض، وهو مالكها والقيم بهما ولو شاء لأفناهما، وهو إشارة إلى المُلك التام، وإنما أخر هذه الصفة عن الأولين لأن الملك التام لا يحصل إلا عند حصول الكمال في القدرة والعلم، فثبت أن من كان موصوفًا بهذه الصفات كان هو المستحق للإيمان به، وغيره لا يستحق ذلك ألبتة، فكيف حَكَم أولئك الكفار الجهال يكون مثل هذا الإيمان ذنبًا؟!

واعلم أنه تعالى أشار بقوله: ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ إلى أنه لو شاء لمنع أولئك الجبابرة من تعذيب أولئك المؤمنين، ولأطفأ نيرانهم ولأماتهم. وأشار بقوله: ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ إلى أن المعتبر عنده سبحانه من الأفعال عواقبها، فهو وإن كان قد أمهل لكنه ما أهمل، فإنه تعالى يوصل ثواب أولئك المؤمنين إليهم، وعقاب أولئك الكفرة إليهم، ولكنه تعالى لم يعالجهم بذلك لأنه لم يفعل إلا على حسب المشيئة أو المصلحة على سبيل التفضل؛ فلهذا السبب قال: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فهو وعد عظيم للمطيعين ووعيد شديد للمجرمين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾

اعلم أنه سبحانه لما ذكر قصة أصحاب الأخدود، أتبعها بما يتفرع عليها من أحكام الثواب والعقاب فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، **وههنا مسائل:**

المسألة الأولى: يحتمل أن يكون المراد منه أصحاب الأخدود فقط، ويحتمل أن يكون المراد كل من فعل ذلك، وهذا أَوْلى لأن اللفظ عام والحكم عام، فالتخصيص تَرْك للظاهر من غير دليل.

المسألة الثانية: أصل الفتنة: الابتلاء والامتحان، وذلك لأن أولئك الكفار امتحنوا أولئك المؤمنين وعرضوهم على النار وأحرقوهم، وقال بعض المفسرين: الفتنة هي الإحراق بالنار. وقال ابن عباس ومقاتل: ﴿فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ حرقوهم بالنار. قال الزجاج: يقال: فتنت الشيء، أحرقته والفتن: أحجار سود كأنها محترقة، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات: ١٣].

المسألة الثالثة: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾ يدل على أنهم لو تابوا لخرجوا عن هذا الوعيد، وذلك يدل على القطع بأن الله تعالى يقبل التوبة، ويدل على أن توبة القاتل عمدًا مقبولة، خلاف

ما يروى عن ابن عباس .

المسألة الرابعة : في قوله: ﴿ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ **قولان:**

الأول: أن كلا العذابين يحصلان في الآخرة، إلا أن عذاب جهنم هو العذاب الحاصل بسبب كفرهم، وعذاب الحريق هو العذاب الزائد على عذاب الكفر بسبب أنهم أحرقوا المؤمنين، فيحتمل أن يكون العذاب الأول عذاب برد، والثاني عذاب إحراق، وأن يكون الأول عذاب إحراق والزائد على الإحراق أيضًا إحراق، إلا أن العذاب الأول كأنه خرج عن أن يسمى إحراقًا بالنسبة إلى الثاني ؛ لأن الثاني قد اجتمع فيه نوعا الإحراق فتكامل جدًّا، فكان الأول ضعيفًا، فلا جرم لم يُسمَّ إحراقًا .

القول الثاني: أن قوله : ﴿ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ إشارة إلى عذاب الآخرة ﴿ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ إشارة إلى ما ذكرنا أن أولئك الكفار ارتفعت عليهم نار الأخدود فاحترقوا بها .

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ ﴾

اعلم أنه تعالى لما ذكر وعيد المجرمين ذكر وعد المؤمنين وهو ظاهر، **وفيه مسألتان:**

المسألة الأولى : إنما قال : ﴿ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ﴾ ولم يقل (تلك) لدقيقة لطيفة وهي أن قوله : ﴿ ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى إخبار الله تعالى بحصول هذه الجنات، وقوله : (تلك) إشارة إلى الجنات وإخبار الله تعالى عن ذلك يدل على كونه راضيًا، والفوز الكبير هو رضا الله لا حصول الجنة .

المسألة الثانية : قصة أصحاب الأخدود ولا سيما هذه الآية تدل على أن المكره على الكفر بالإهلاك العظيم الأَوْلى له أن يصبر على ما خُوف منه، وأن إظهار كلمة الكفر كالرخصة في ذلك، روى الحسن أن مسيلمة أخذ رجلين من أصحاب النبي ﷺ فقال لأحدهما : تشهد أني رسول الله فقال : نعم . فتركه، وقال للآخر مثله فقال : لا، بل أنت كذاب!! فقتله فقال عليه السلام : «**أَمَّا الَّذِي تُرِكَ فَأَخَذَ بِالرُّخْصَةِ فَلَا تَبِعَةَ عَلَيْهِ، وَأَمَّا الذي قُتِلَ فَأَخَذَ بِالفَضْلِ فهَنِيئًا لَهُ**» (١).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾

اعلم أنه تعالى لما ذكر وعيد الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات أولاً وذكر وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثانيًا، أردف ذلك الوعد والوعيد بالتأكيد، فقال لتأكيد الوعيد : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ والبطش هو الأخذ بالعنف، فإذا وُصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم، ونظيره ﴿إِنَّ أَخْذَهُ

(١) **إسناده ضعيف** : ابن أبي شيبة في (مصمنفه) (١٢/ ٣٥٧) حديث رقم (٣٣٧٠٨) من طريق يونس عن الحسن. . . به، وهذا مرسل من مراسيل الحسن البصري وهي ضعيفة .

﴿أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[هود: ١٠٢] ثم إن هذا القادر لا يكون إمهاله لأجل الإهمال، لكن لأجل أنه حكيم إما بحكم المشيئة أو بحكم المصلحة، وتأخير هذا الأمر إلى يوم القيامة، فلهذا قال: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ أي إنه يخلق خلقه ثم يفنيهم ثم يعيدهم أحياء ليجازيهم في القيامة، فدل الإمهال لهذا السبب لا لأجل الإهمال، قال ابن عباس: إن أهل جهنم تأكلهم النار حتى يصيروا فحمًا، ثم يعيدهم خلقًا جديدًا، فذاك هو المراد من قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ .

ثم قال لتأكيد الوعد: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ **فذكر من صفات جلاله وكبريائه خمسة:**

أولها: الغفور، قالت المعتزلة: هو الغفور لمن تاب. وقال أصحابنا: إنه غفور مطلقًا لمن تاب ولمن لم يتب، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء: ٤٨] ولأن غفران التائب واجب، وأداء الواجب لا يوجب التمدح، والآية مذكورة في معرض التمدح. **وثانيها:** الودود، وفيه أقوال: **أحدها:** المحب، هذا قول أكثر المفسرين، وهو مطابق للدلائل العقلية، فإن الخير مقتضى بالذات والشر بالعَرَض، ولا بد أن يكون الشر أقل من الخير، فالغالب لا بد وأن يكون خيرًا فيكون محبوبًا بالذات. **وثانيها:** قال الكلبي: الودود هو المتودد إلى أوليائه بالمغفرة والجزاء، والقول هو الأول. **وثالثها:** قال الأزهري: قال بعض أهل اللغة: يجوز أن يكون ودود فعولاً بمعنى مفعول كرَكوب وحَلوب، ومعناه أن عباده الصالحين يودونه ويحبونه لما عرفوا من كماله في ذاته وصفاته وأفعاله. قال: وكلتا الصفتين مدح لأنه جل ذكره إذا أحب عباده المطيعين فهو فضل منه، وإن أحبه عباده العارفون فلما تقرر عندهم من كريم إحسانه. **ورابعها:** قال القفال: قيل: الودود قد يكون بمعنى الحليم، من قولهم: دابة ودود، وهي المطيعة القياد التي كيف عطفتها انعطفت، وأنشد قطرب[1] :

وَأَعْـدَدْتُ لِـلْـحَـرْبِ خَـيْـفَـانَـةً ذَلُـولَ الْـقِـيَـادِ وَقَـاحًـا وَدُودَا

وثالثها: ذو العرش، قال القفال: ذو العرش، أي ذو الملك والسلطان، كما يقال: فلان على سرير مُلكه، وإن لم يكن على السرير، وكما يقال: (ثُل عرشُ فلان) إذا ذهب سلطانه، وهذا معنى متفق على صحته، وقد يجوز أن يكون المراد بالعرش السرير، ويكون جل جلاله خلق سريرًا في سمائه في غاية العظمة والجلالة بحيث لا يعلم عظمته إلا هو ومن يطلعه عليه.

ورابعها: المجيد، وفيه قراءتان: **إحداهما:** الرفع فيكون ذلك صفة لله سبحانه، وهو اختيار أكثر القراء والمفسرين؛ لأن المجد من صفات التعالي والجلال، وذلك لا يليق إلا بالله سبحانه، والفصل والاعتراض بين الصفة والموصوف في هذا النحو غير ممتنع. والقراءة الثانية: بالخفض، وهي قراءة حمزة والكسائي، فيكون ذلك صفة العرش، وهؤلاء قالوا: القرآن دل على أنه يجوز وصف غير الله بالمجيد حيث قال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾[البروج: ٢١] ورأينا أن الله

---

(١) تقدمت ترجمة قطرب.

تعالى وصف العرش بأنه كريم فلا يبعد أيضًا أن يصفه بأنه مجيد . ثم قالوا: إن مجد الله عظمته بحسب الوجوب الذاتي وكمال القدرة والحكمة والعلم، وعظمة العرش علوه في الجهة وعظمة مقداره وحسن صورته وتركيبه، فإنه قيل: العرش أحسن الأجسام تركيبًا وصورة.

وخامسها: أنه فعال لما يريد، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: (فعَّال) خبر مبتدأ محذوف.

المسألة الثانية: من النحويين من قال: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ خبران لمبتدأ واحد. وهذا ضعيف لأن المقصود بالإسناد إلى المبتدأ إما أن يكون مجموعها أو كل واحد واحد منهما، فإن كان الأول كان الخبر واحد الآخرين، وإن كان الثاني كانت القضية لا واحد قبل قضيتين.

المسألة الثانية: احتج أصحابنا بهذه الآية في مسألة خلق الأفعال فقالوا: لا شك أنه تعالى يريد الإيمان، فوجب أن يكون فاعلاً للإيمان بمقتضى هذه الآية وإذا كان فاعلاً للإيمان وجب أن يكون فاعلاً للكفر ضرورة أنه لا قائل بالفرق، قال القاضي: ولا يمكن أن يستدل بذلك على أن ما يريده الله تعالى من طاعة الخلق لا بد من أن يقع لأن قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ لا يتناول إلا ما إذا وقع كان فعله دون ما إذا وقع لم يكن فعلاً له. هذه ألفاظ القاضي ولا يخفى ضعفها.

المسألة الرابعة: احتج أصحابنا بهذه الآية على أنه تعالى لا يجب لأحد من المكلفين عليه شيء ألبتة. وهو ضعيف لأن الآية دالة على أنه يفعل ما يريد، فلمَ قلتم: إنه يريد أن لا يعطي الثواب؟!

المسألة الخامسة: قال القفال: فعال لما يريد على ما يراه، لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه غالب، فهو يُدخل أولياءه الجنة لا يمنعه منه مانع، ويُدخل أعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر، ويمهل العصاة على ما يشاء إلى أن يجازيهم ويعاجل بعضهم العقوبة إذا شاء، ويعذب من شاء منهم في الدنيا، وفي الآخرة يفعل من هذه الأشياء ومن غيرهما ما يريد.

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾

اعلم أنه تعالى لما بيَّن حال أصحاب الأخدود في تأذي المؤمنين بالكفار، بيَّن أن الذين كانوا قبلهم كانوا أيضًا كذلك، واعلم أن فرعون وثمود بدل من الجنود، وأراد بفرعون إياه وقومه كما في قوله: ﴿مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ﴾ [يونس: ٨٣]وثمود كانوا في بلاد العرب، وقصتهم عندهم مشهورة فذكر تعالى من المتأخرين فرعون، ومن المتقدمين ثمود، والمقصود بيان أن حال المؤمنين مع الكفار في جميع الأزمنة مستمرة على هذا النهج، وهذا هو المراد من قوله: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ﴾ ولما طيَّب قلب الرسول عليه السلام بحكاية أحوال الأولين في هذا الباب، سلاَّه بعد ذلك من وجه آخر، وهو قوله: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ وفيه وجوه: أحدها: أن المراد وصف

اقتداره عليهم وأنهم في قبضته وحوزته، كالمحاط إذا أحيط به من ورائه فسَدَّ عليه مسلكه، فلا يجد مهربًا، يقول تعالى: فهو كذا في قبضتي وأنا قادر على إهلاكهم ومعاجلتهم بالعذاب على تكذيبهم إياك، فلا تجزع من تكذيبهم إياك، فليسوا يفوتونني إذا أردتُ الانتقام منهم. **وثانيها**: أن يكون المراد من هذه الإحاطة قرب هلاكهم كقوله تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ [الفتح: ٢١] وقوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] وقوله: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ [يونس: ٢٢] فهذا كله عبارة عن مشارفة الهلاك، يقول: فهؤلاء في تكذيبك قد شارفوا الهلاك. **وثالثها**: أن يكون المراد: والله محيط بأعمالهم، أي عالم بها، فهو مرصد بعقابهم عليها.

ثم إنه تعالى سلى رسوله بعد ذلك بوجه ثالث، وهو قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾، **وفيه مسائل**:

المسألة الأولى: تعلق هذا بما قبله هو أن هذا القرآن مجيد مصون عن التغير والتبدل، فلما حكم فيه بسعادة قوم وشقاوة قوم، وبتأذي قوم من قوم، امتنع تغيره وتبدله، فوجب الرضا به، ولا شك أن هذا من أعظم موجبات التسلية.

المسألة الثانية: قرئ: (قُرْآنُ مَجِيدٍ) بالإضافة، أي قرآن رب مجيد، وقرأ يحيى بن يعمر: (في لوح) واللوح الهواء يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح المحفوظ، وقرئ (مَحْفُوظٌ) بالرفع صفة للقرآن كما قلنا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

المسألة الثالثة: أنه تعالى قال ههنا: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٧، ٧٨] فيحتمل أن يكون الكتاب المكنون واللوح المحفوظ واحدًا، ثم كونه محفوظًا يحتمل أن يكون المراد كونه محفوظًا عن أن يمسه إلا المطهرون، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩] ويحتمل أن يكون المراد كونه محفوظًا من اطلاع الخلق عليه سوى الملائكة المقربين، ويحتمل أن يكون المراد أن لا يجري عليه تغيير وتبديل.

المسألة الرابعة: قال بعض المتكلمين: إن اللوح شيء يلوح للملائكة فيقرؤونه، ولما كانت الأخبار والآثار واردة بذلك وجب التصديق.

والله سبحانه وتعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سورة البروج

مكية باتفاق. وهي ثنتان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١﴾

قَسَمٌ أَقْسَمَ الله به جلَّ وعزَّ. وفي «البروج» أقوالٌ أربعةٌ:

أحدُها: ذات النجوم؛ قاله الحسنُ وقتادةُ ومجاهدٌ والضحَّاك(١).

الثاني: القُصُور؛ قاله ابن عباس(٢) وعِكرمةُ ومجاهدٌ أيضاً. قال عِكرمةُ: هي قُصورٌ في السماء. مجاهدٌ: البُروج فيها الحرس.

الثالث: ذات الخَلْقِ الحَسَنِ؛ قاله المِنهالُ بنُ عمرو(٣).

الرابع: ذات المنازِلِ؛ قاله أبو عبيدةَ ويحيى بنُ سلام. وهي اثْنَا عَشَرَ بُرْجاً، وهي منازِلُ الكواكبِ والشمسِ والقمرِ. يسيرُ القمرُ في كلِّ بُرْجٍ منها يومين وثُلُثِ يومٍ؛ فذلك ثمانيةٌ وعشرون يوماً، ثم يَسْتَسِرُّ ليلتين. وتَسيرُ الشمسُ في كلِّ بُرْجٍ منها شهراً(٤). وهي: الحَمَل، والثَّورُ، والجَوزاءُ، والسَّرَطانُ، والأسدُ، والسُّنْبلةُ، والمِيزانُ، والعَقْرِبُ، والقَوسُ، والجَدْي، والدَّلْوُ، والحُوتُ.

والبروجُ في كلام العرب: القصور؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء:٧٨] وقد تقدَّم(٥).

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٢٤٠، وأخرجه عن قتادة عبد الرزاق ٢/ ٣٦١، والطبري ٢٤/ ٢٦١، وعن مجاهد الطبري ٢٤/ ٢٦١.

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٦٠، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٤٠.

(٣) النكت والعيون ٦/ ٢٤٠.

(٤) مجاز القرآن ٢/ ٢٩٣، وذكر القول عن يحيى بن سلام الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٤٠.

(٥) ٦/ ٤٦٥، وينظر في الكلام عن البروج وعن منازل الشمس والقمر ١٢/ ١٨٦ و١٧/ ٤٤٩.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ أي: الموعود به. وهو قَسَمٌ آخَرُ، وهو يومُ القيامةِ، من غيرِ اختلافٍ بين أهل التأويل. قال ابن عباس: وُعِدَ أهلُ السماءِ وأهلُ الأرضِ أنْ يجتمعوا فيه.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ اختُلِفَ فيهما؛ فقال عليٌّ وابْنُ عباسٍ وابنُ عمرَ وأبو هريرة رضي الله عنهم: الشاهدُ يومُ الجمعةِ، والمشهودُ يومُ عرفةَ. وهو قولُ الحسن[1]. ورواه أبو هُريرةَ مرفوعاً قال: قال رسول الله ﷺ: «اليومُ الموعودُ يومُ القيامةِ، واليومُ المشهودُ يومُ عَرَفَةَ، والشاهدُ يومُ الجمعةِ...» خرَّجه أبو عيسى الترمذيُّ في جامِعِه، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ، لا نَعْرِفُهُ إلَّا مِن حديثِ موسى بنِ عُبيدةَ، وموسى بنُ عبيدةَ يُضَعَّفُ في الحديث، ضَعَّفه يحيى بنُ سعيدٍ وغيرُه. وقد رَوَى شُعبةُ وسفيانُ الثوريُّ وغيرُ واحدٍ من الأئمة عنه[2]. قال القشَيريُّ: فيومُ الجمعةِ يَشْهدُ على كلِّ عاملٍ بما عَمِلَ فيه.

قلت: وكذلك سائرُ الأيامِ واللَّيالي؛ فكلُّ يومٍ شاهدٌ، وكذا كلُّ ليلةٍ؛ ودليلُه ما رواه أبو نعيمٍ الحافظُ عن معاويةَ بنِ قُرَّةَ، عن مَعْقِل بنِ يسارٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «ليس مِن يومٍ يأتي على العبدِ إلَّا يُنادَى فيه: يا ابنَ آدمَ، أنا خَلْقٌ جديدٌ، وأنا فيما تَعْمَلُ عليك [غداً] شهيدٌ، فاعْمَلْ فيَّ خيراً أَشْهَدْ لك به غداً، فإنِّي لو قد مَضَيْتُ لم تَرَنِي أبداً، ويقولُ الليلُ مثلَ ذلك». حديثٌ غريبٌ من حديثِ معاويةَ، تفرَّد به عنه زيدٌ العَمِّيُّ، ولا أَعْلَمُه مرفوعاً عن النبيِّ ﷺ إلَّا بهذا الإسناد[3].

---

(١) أخرج قولهم الطبري ٢٤/ ٢٦٤-٢٦٥ عدا ابن عمر رضي الله عنهما. وفي الوسيط ٤/ ٤٥٨ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٦٠ ، وتفسير البغوي ٤/ ٤٦٦-٤٦٧ ، وزاد المسير ٩/ ٧١ عن ابن عمر أن الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم النحر. وقول أبي هريرة أخرجه أيضاً أحمد (٧٩٧٣).

(٢) سنن الترمذي (٣٣٣٩)، ووقع في مطبوعه: حسن غريب. وفي تحفة الأحوذي ٩/ ٢٥٨ : هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى...، ونحوه في تحفة الأشراف ١٠/ ١٣٤ . قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: وقد روي موقوفاً على أبي هريرة، وهو أشبه. اهـ. وقد سلف الموقوف آنفاً.

(٣) الحلية ٢/ ٣٠٣-٣٠٤ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

وحكى القُشَيريُّ عن ابنِ عمرَ وابنِ الزُّبير: أنَّ الشاهدَ يومُ الأضحى(١).

وقال سعيد بن المسيب: الشاهدُ: يومُ التَّرْوِيةِ، والمشهودُ: يومُ عَرَفَةَ(٢).

وروى إسرائيلُ، عن أبي إسحاقَ، عن الحارث، عن عليٍّ ﷺ: الشاهدُ يومُ عرفة، والمشهودُ يومُ النحر(٣). وقاله النخعيُّ(٤).

وعن عليٍّ أيضاً: المشهودُ يومُ عرفةَ(٥). وقال ابنُ عباسٍ والحسينُ بن عليٍّ رضي الله عنهما: المشهودُ يومُ القيامةِ؛ لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣](٦).

قلت: وعلى هذا اختَلَفَتْ أقوالُ العلماءِ في الشاهد، فقيل: اللهُ تعالى؛ عن ابن عباسٍ والحسنِ وسعيد بنِ جُبير(٧)، بيانُه: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]، ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩].

وقيل: محمدٌ ﷺ؛ عن ابنِ عباسٍ أيضاً والحسينِ بنِ عليٍّ، وقرأ ابنُ عباس: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] وقرأ الحسين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥](٨).

---

(١) أخرجه عنهما الطبري ٢٤/ ٢٦٦ و٢٦٩ .

(٢) تفسير البغوي ٤/ ٤٦٧ ، وزاد المسير ٩/ ٧٢ .

(٣) ذكره الرازي ٣١/ ١١٦-١١٧ دون نسبة، وفي تفسير مجاهد ٢/ ٧٤٥ من طريق شريك، ، عن أبي إسحاق، عن الحارث عن علي: الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم النحر.

(٤) لم نقف عليه، وروي عنه عكسه، وهو أن الشاهد يوم النحر، والمشهود يوم عرفة. النكت والعيون ٦/ ٢٤١ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٦١ ، وزاد المسير ٩/ ٧٢ .

(٥) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٦١ ، والطبري ٢٤/ ٢٦٥ ، وسلف في بداية تفسير هذه الآية.

(٦) أخرجه عن ابن عباس النسائي في الكبرى (١١٥٩٩)، والطبري ٢٤/ ٢٦٦ ، وأخرجه عن الحسين الطبري ٢٤/ ٢٦٦-٢٦٧ ، والطبراني في الصغير (١١٣٧)، وهو في تفسير مجاهد ٢/ ٧٤٦ ، ووقع في تفسير الطبري: الحسن، بدل: الحسين.

(٧) أخرجه عن ابن عباس الطبري ٢٤/ ٢٦٩ ، وذكره عن سعيد بن جبير البغوي ٤/ ٤٦٧ ، وابن الجوزي ٩/ ٧٢ .

(٨) أخرجه عن ابن عباس النسائي في الكبرى (١١٥٩٩)، وعن الحسين الطبراني في الصغير (١١٣٧). وقد سلفت قطعة منه قريباً.

قلت: وأقرأُ أنا: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقيل: الأنبياءُ يَشْهَدون على أُممهم؛ لقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١]. وقيل: آدمُ. وقيل: عيسى بنُ مريم؛ لقوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ١١٧]. والمشهودُ: أمَّتُه.

وعن ابن عباس أيضاً ومحمد بنِ كعب: الشاهدُ: الإنسان؛ دليلُه: ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

مقاتل: أعضاؤه، بيانُه: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

الحسين بنُ الفَضْلِ: الشاهدُ هذه الأمَّةُ، والمشهودُ سائرُ الأممِ، بيانُه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقيل: الشاهد: الحفَظَة، والمشهودُ: بنو آدم[١]. وقيل: الليالي والأيامُ. وقد بيَّناه[٢].

قلت: وقد يشهدُ المالُ على صاحبه، والأرضُ بما عملَ عليها؛ ففي «صحيح» مسلم[٣] عن أبي سعيد الخُدريِّ عن النبيِّ ﷺ: «إنَّ هذا المالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، ونِعْمَ صاحبُ المُسْلِم هو لمَن أَعْطَى منه المسكينَ واليتيمَ وابنَ السبيلِ - أو كما قال رسول الله ﷺ - وإنَّه مَن يأخذُه بغيرِ حقِّه كان كالذي يأكلُ ولا يَشْبَعُ، ويكونُ عليه شهيداً يومَ القيامة».

وفي الترمذيِّ عن أبي هريرةَ قال: قرأ رسولُ الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] قال: «أتدرون ما أخبارُها»؟ قالوا: اللهُ ورسولُه أعلم. قال:

---

(١) تنظر هذه الأقوال وغيرها في النكت والعيون ٦/ ٢٤١، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٦١، وتفسير البغوي ٤/ ٤٦٧، وزاد المسير ٩/ ٧٢-٧٣.

(٢) في الصفحة السابقة.

(٣) برقم (١٠٥٢).

«فإنَّ أخبارَها أنْ تَشْهَدَ على كلِّ عبدٍ أو أَمَةٍ بما عَمِلَ على ظَهْرِها، تقولُ: عَمِلَ يومَ كذا كذا وكذا. قال: فهذه أخبارُها». قال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيح[١].

وقيل: الشاهدُ الخَلْقُ، شهدوا للهِ عزَّ و جلَّ بالوحدانية. والمشهودُ له بالتوحيدِ هو اللهُ تعالى.

وقيل: المشهودُ يومُ الجمعةِ، كما رَوَى أبو الدَّرداءِ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَكْثِروا عليَّ من الصلاةِ يومَ الجمعةِ فإنه يومٌ مشهودٌ تَشْهَدُه الملائكةُ.... »وذكر الحديث. خرَّجه ابنُ ماجه وغيرُه[٢].

قلت: فعلى هذا يومُ عرفةَ مشهودٌ؛ لأنَّ الملائكةَ تَشْهدُه، وتنزلُ فيه بالرحمة. وكذا يومُ النَّحْرِ إنْ شاءَ الله.

وقال أبو بكرٍ العطارُ: الشاهدُ الحجرُ الأسودُ، يَشْهدُ لِمَنْ لَمَسَه بصدقٍ وإخلاصٍ ويقينٍ. والمشهودُ الحاجُّ. وقيل: الشاهدُ الأنبياءُ، والمشهودُ محمدٌ ﷺ، بيانُه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١][٣].

قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾أي: لُعن. قال ابنُ عباسٍ: كلُّ شيءٍ في القرآن«قُتل»، فهو لُعِن. وهذا جوابُ القَسَم في قولِ الفرَّاء، واللام فيه مُضْمَرةٌ، كقوله: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ثم قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١٢] أي: لقد أَفْلَح[٤].

---

(١) سنن الترمذي (٢٤٢٩) و(٣٣٥٣)، وهو عند أحمد (٨٨٦٧).

(٢) سنن ابن ماجه (١٦٣٧)، وتفسير الطبري ٢٤/ ٢٧٠ .

(٣) زاد المسير ٩/ ٧٣ .

(٤) بنحوه في معاني القرآن للفراء٣/ ٢٥٣ ، وللأخفش ٢/ ٧٣٦ . وعقب عليه الفراء بقوله: هذا في التفسير، ولم نجد العرب تَدَعُ القسم بغير لام يستقبل بها، أو «لا»، أو «إنَّ»، أو«ما»، فإن يكن كذلك فكأنه مما ترك فيه الجواب، ثم استؤنف موضع الجواب بالخبر.

وقيل: فيه تقديمٌ وتأخيرٌ، أي: قُتل أصحابُ الأخدود والسماء ذاتِ البُروجِ، قاله أبو حاتمٍ السِّجِسْتانيُّ. ابنُ الأنباريِّ: وهذا غَلَطٌ؛ لأنه لا يجوزُ لقائلٍ أنْ يقولَ: واللهِ قام زيدٌ؛ على معنى: قام زيدٌ واللهِ. وقال قومٌ: جوابُ القَسَمِ: «إنَّ بطْشَ ربك لشديد» وهذا قبيحٌ، لأنَّ الكلامَ قد طال بينهما[١].

وقيل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟﴾[٢]. وقيل: جوابُ القَسَمِ محذوفٌ، أي: والسماءِ ذاتِ البروجِ لَتُبْعَثُنَّ. وهذا اختيارُ ابنِ الأنباريِّ[٣]. والأخدودُ: الشقُّ العظيمُ المستطيلُ في الأرض كالخندق، وجَمْعُه أخاديد. ومنه الخدُّ، لمجاري الدموع، والمخدَّةُ، لأنَّ الخدَّ يوضعُ عليها[٤]. ويقال: تَخدَّد وجه الرجلِ: إذا صارتْ فيه أخاديدُ من جِراحٍ، قال طَرَفة:

ووجهٌ كأنَّ الشمسَ حَلَّتْ رداءها   عليه نَقيُّ اللونِ لم يَتَخدَّدِ[٥]

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾«النارِ» بدلٌ من «الأخدودِ» بدلُ الاشتمال. و«الوَقود» بفتحِ الواو قراءةُ العامَّةِ، وهو الحَطَبُ. وقرأ قتادةُ وأبو رجاءٍ ونصر بنُ عاصم بضمِّ الواوِ على المصدر[٦]، أي: ذاتِ الاتِّقادِ والالتهابِ. وقيل: ذاتِ الوُقودِ بأبدان الناس. وقرأ أشهبُ العُقَيْليُّ وأبو السَّمَّالِ العَدَويُّ وابنُ السَّمَيْفَع: «النارُ ذاتُ» بالرفعِ فيهما[٧]، أي: أَحْرقَتْهم النارُ ذاتُ الوقود.

---

(١) إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٧٣ .

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٢ .

(٣) في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٧٢- ٩٧٣ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢٤١ .

(٥) ديوان طرفة ص٢١ . قوله: ووجْهٌ، أي: ولها وجهٌ، ومعنى حلت رداءها عليه: قَلَعتْه وألْبَسَتْه إياه. شرح المعلقات للنحاس ١/ ٥٩ .

(٦) القراءات الشاذة ص١٧١ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٦٢ .

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٩٢ عن أبي عبد الرحمن السلمي. وذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٢ دون نسبة.

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ أي: الذين خدَّدوا الأخاديدَ وقَعَدوا عليها يُلْقون فيها المؤمنين، وكانوا بنَجرْانَ في الفترة بين عيسى ومحمدٍ صلى الله عليهما وسلم. وقد اختلفت الروايةُ[(١)] في حديثهم. والمعنى متقارِبٌ. ففي «صحيح» مسلم عن صُهَيب: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «كانَ مَلِكٌ فيمَن كان قَبْلَكم، وكان له ساحرٌ، فلمَّا كَبِرَ قال للملك: إنِّي قد كَبِرْتُ، فابْعَثْ إليَّ غلاماً أُعَلِّمْه السِّحْرَ، فبعَثَ إليه غلاماً يعلِّمُه، فكان في طريقه إذا سَلَك راهبٌ، فقَعَدَ إليه وسَمِعَ كلامَه، فأعجبه، فكان إذا أَتَى السَّاحرَ مرَّ بالراهبِ وقَعَدَ إليه، فإذا أَتَى السَّاحر ضَرَبَه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خَشِيْتَ السَّاحِرَ فقُلْ: حَبَسني أَهْلي. وإذا خَشيت أَهْلَك فقُلْ: حَبَسني السَّاحرُ. فبينما هو كذلك إذ أتى على دابَّةٍ عظيمةٍ قد حَبَسَت الناسَ، فقال: اليومَ أَعْلَمُ السَّاحِرُ أَفْضَلُ أمِ الراهبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حجراً فقال: اللهمَّ إنْ كان أمرُ الراهبِ أحبَّ إليكَ من أَمْرِ السَّاحرِ فاقْتُلْ هذه الدابةَ حتى يمضي الناسُ، فرماها فقتلها، ومضى الناسُ. فَأَتى الراهبَ فَأَخْبَره، فقال له الراهبُ: أي بنيَّ، أنت اليومَ أفضلُ منِّي، قد بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ ما أرى، وإنَّك ستُبْتَلَى، فإنِ ابتُلِيْتَ فلا تَدُلَّ عليَّ. وكان الغلامُ يُبْرِئُ الأَكْمهَ والأَبْرَصَ، ويُداوي الناسَ من سائرِ الأَدْواءِ. فسمع جليسٌ للملك كان قد عَمِي، فأتاه بهدايا كثيرةٍ فقال: ماهاهُنا لك أَجْمعُ إنْ أنتَ شَفَيْتَني. فقال: إنِّي لا أَشْفي أحداً، إنَّما يَشْفي اللهُ، فإنْ أنتَ آمنتَ بالله دَعَوْتُ الله فشَفَاكَ، فآمَنَ بالله فشَفَاه الله. فأتَى الملكَ فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملكُ: مَنْ رَدَّ عليك بَصَرَكَ؟ قال: ربِّي. قال: ولكَ ربٌّ غيري؟! قال: ربِّي وربُّكَ اللهُ. فَأَخَذَه فلم يَزَلْ يُعذِّبُه حتى دَلَّ على الغلام، فجيءَ بالغلام فقال له الملكُ: أي بنيَّ! قَدْ بَلَغَ مِن سِحْرِكَ ما تُبْرِئُ الأَكْمَه والأَبرصَ، وتَفْعلُ وتفعلُ؟! قال: إنِّي لا أَشْفي أحداً، إنَّما يَشْفي اللهُ. فَأَخَذَه فلم يَزَلْ يُعذِّبه حتى دَلَّ على الراهب، فجيءَ بالراهب، فقيل له: ارْجِعْ عن دِينِكَ، فأَبَى، فدعا بالمنشار، فوَضَعَ المنشار في مَفْرِق رأسِه، فشقَّه حتى

---

(١) في(م): الرواة.

وقع شِقَّاه. ثم جيءَ بجليسِ الملِكِ فقيل له: ارجعْ عن دِينِكَ، فأَبى، فوضَعَ المنشارَ في مَفرق رأسِه، فشقَّه به حتى وقع شِقَّاه. ثم جيء بالغلام فقيلَ له: ارْجِعْ عن دِينِكَ، فأبى، فدَفَعه إلى نَفَرٍ من أصحابه فقال: اذْهَبوا به إلى جبلِ كذا وكذا، فاصْعَدوا به الجبل، فإذا بلغتُم ذِرْوَتَه، فإنْ رَجَع عن دينه، وإلّا فاطْرَحوه، فَذَهبوا به فصَعِدوا به الجبل، فقال: اللهمَّ اكْفِنيهِم بما شِئْتَ، فرَجَفَ بهم الجبلُ فسَقَطوا. وجاء يمشي إلى الملِكِ، فقال له الملك: ما فَعَلَ أصحابكَ؟! قال: كَفَانِيهِمُ اللهُ. فَدَفَعه إلى نَفَرٍ من أصحابه فقال: اذْهَبوا به فاحمِلوه في قُرْقُور[١]، فتوسَّطوا به البحرَ، فإنْ رَجَع عن دينه، وإلّا فاقْذِفوه، فذهبوا به فقال: اللهمَّ اكْفِنِيهِم بما شِئْتَ، فانْكَفأَتْ بهم السفينةُ فغرقوا. وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملكُ: ما فَعَل أصحابُك؟! قال: كَفَانِيهِمُ اللهُ. فقال للملك: إنَّك لَسْتَ بقاتِلي حتى تَفْعَل ما آمرُكَ به. قال: وما هو؟ قال: تَجْمعُ الناسَ في صعيدٍ واحدٍ، وتَصْلُبُني على جِذْعٍ، ثم خُذْ سهماً من كِنانَتي، ثم ضَعِ السَّهمَ في كَبِدِ القَوْسِ، ثم قل: بِاسْمِ اللهِ ربِّ الغلامِ، ثم ارْمِني، فإنَّك إذا فعلتَ ذلك قَتَلْتني. فجمع الناسَ في صعيدٍ واحدٍ، وصَلَبه على جِذْعٍ، ثم أَخَذَ سهماً من كنانته، ثم وضع السهمَ في كَبِدِ القَوْسِ، ثم قال: باسْمِ اللهِ ربِّ الغلامِ، ثم رماه فوقع السهمُ في صُدْغِه، فوضَعَ يَده في صُدْغِه في موضع السهم، فمات، فقال الناس: آمَنَّا بربِّ الغلامِ! آمنَّا بربِّ الغلامِ! آمنَّا بربِّ الغلامِ! فأُتي الملِكُ فقيل له: أرأيتَ ما كنتَ تَحْذَرُ؟ قد واللهِ نَزَلَ بك حَذَرُكَ، قد آمنَ الناسُ، فأَمر بالأُخدودِ في أفواه السِّكَكِ، فخُدَّت، وأَضْرِمَ النيرانَ، وقال: من لم يَرْجِعْ عن دِينهِ فأَحْموه فيها[٢] ـ أو قيل له: اقْتَحِمْ ـ ففعلوا، حتى جاءتِ امرأةٌ ومعها صبيٌّ لها، فتقاعَسَتْ أن تقع فيها، فقال لها الغلامُ: «ياأُمَّهْ اصْبِري فإنَّكِ على الحقِّ»[٣].

---

(١) هو السفينة العظيمة، وجمعها قراقير. النهاية (قرقر).

(٢) أي: ارموه فيها، شرح النووي لصحيح مسلم ١٨/ ١٣٣ .

(٣) صحيح مسلم (٣٠٠٥)، وهو عند أحمد (٢٣٩٣١).

خرَّجه الترمذيُّ بمعناه، وفيه: «وكان على طريق الغلامِ راهبٌ في صومعةٍ» قال معمر: أَحْسَبُ أنَّ أصحابَ الصَّوامع كانوا يومئذٍ مسلمين. وفيه: أنَّ الدابةَ التي حَبَستِ الناس كانت أَسَداً، وأنَّ الغلام دُفِنَ، قال: فيُذْكَر أنه أُخرِجَ في زمن عمر بن الخطاب وأصبعهُ على صِدْغِه كما وَضَعَهَا حين قُتِل. وقال: حديثٌ حسنٌ غريب[(١)].

ورواه الضحاك عن ابن عباس قال: كان مَلِكٌ بنَجْران، وفي رعيته رجُل له بُنَيٌّ[(٢)]، فبعثه إلى ساحرٍ يعلِّمه السِّحرَ، وكان طريقُ الفتى على راهبٍ يقرأ الإنجيل، فكان يُعْجِبُه مايَسْمَعهُ من الراهب، فدخل في دينِ الراهبِ، فأقبل يوماً فإذا حيةٌ عظيمةٌ قَطَعتْ على الناس طريقَهم، فأخذ حجراً فقال: باسم الله ربِّ السمواتِ والأرضِ وما بينَهما، فقتلها. وذَكَر نحوَ ما تقدَّم. وأنَّ الملك لمَّا رماه بالسَّهم وقَتَلَه، قال أهلُ مملكةِ الملكِ: لا إله إلَّا إلهُ عبدِ الله[(٣)] بن ثامرٍ ـ وكان اسمَ الغلام ـ فغضب الملك، وأَمر فخُدَّتْ أخاديدُ، وجُمِع فيها حطبٌ ونارٌ، وعَرَضَ أهلَ مملكته عليها، فَمَن رَجَعَ عن التوحيد تَرَكَه، ومَن ثَبَتَ على دِينه قَذَفه في النار. وجيءَ بامرأةٍ مُرْضعٍ، فقيل لها: ارجِعي عن دينك وإلا قذفناكِ وولَدَكِ، قال: فأَشْفَقتْ وهَمَّتْ بالرجوع، فقال لها الصَّبيُّ المُرْضَع: يا أمِّي، اثْبُتي على ما أنتِ عليه، فإنَّما هي غُمَيْضَةٌ، فَأَلْقَوْها وابنَها.

وروى أبو صالح عن ابن عباس: أنَّ النار ارتفعتْ من الأخدودِ فصارت فوقَ الملكِ وأصحابِه أربعينَ ذراعاً فَأَحْرَقَتْهم[(٤)].

وقال الضحاك: هم قومٌ من النصارى كانوا باليمن قبل مَبْعَثِ رسول الله ﷺ بأربعين سنةً، أَخَذَهم يوسف بنُ شراحيل بن تُبَّع الحميريُّ، وكانوا نيفاً وثمانين

(١) سنن الترمذي (٣٣٤٠).

(٢) في (م): فتى.

(٣) في النسخ: لا إله إلا الله عبد الله، والمثبت من تفسير البغوي ٤/ ٤٦٩ والخبر فيه بنحوه من طريق عطاء عن ابن عباس، وذكره مطولاً الثعلبي في عرائس المجالس ص٤٣٩-٤٤١ ، وفيه: لا إله إلا الله آمنا بدين عبد الله...

(٤) ذكر نحوه الثعلبي في عرائس المجالس ص٤٤٢ عن الكلبي.

رجلاً، وحَفَر لهم أُخدوداً وأَحْرقَهم فيه. حكاه الماورديُّ[١]. وحَكَى الثعلبيُّ عنه: أنَّ أصحابَ الأخدودِ من بني إسرائيل، أَخَذوا رجالاً ونساءً، فخدُّوا لهم الأخاديدَ، ثم أَوْقَدوا فيها النارَ، ثم أُقيم المؤمنون عليها، وقيل لهم: تكفُرونَ أو تُقْذَفون في النار[٢]؟ ويزعمون أنه دانيال وأصحابُه، وقاله عَطِيةُ العَوْفيُّ. ورُوي نحوُ هذا عن ابن عباس[٣].

وقال عليٌّ ﷺ: إنَّ ملِكاً سكِر فوقعَ على أُخته، فأراد أن يجعل ذلك شرعاً في رَعيَّته، فلم يقبلوا، فأشارتْ إليه أنَّ يخطُبَ بأنَّ الله ـ عزَّ وجل ـ أَحَلَّ نكاحَ الأخواتِ، فلم يُسْمَعْ منه، فأشارتْ عليه أن يخُدَّ لهم الأخدودَ، ويُلقي فيه كلَّ من عَصَاه، ففعل. قال: وبقاياهم ينكِحون الأخوات وهم المَجُوسُ، وكانوا أهلَ كتاب[٤].

ورُوي عن عليٍّ أيضاً أنَّ أصحاب الأخدودِ كان سببُهم أنَّ نبيًّا بَعَثه الله تعالى إلى الحبشة، فاتَّبعه ناسٌ، فخدَّ لهم قومُهم أخدوداً، فَمَن اتَّبع النبيَّ رُمي فيها، فجيءَ بامرأةٍ لها بُنَيٌّ رضيعٌ فجزِعتْ، فقال لها: يا أمَّاه، امْضي ولا تَجْزعي[٥].

وقال أيوب عن عِكرمةَ قال: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ قال: كانوا من قومِكَ من السِّجِسْتان. وقال الكلبيُّ: هم نصارى نجران، أَخَذوابها قوماً مؤمنين، فخدُّوا لهم سبعةَ أخاديد، طولُ كلِّ أخدودٍ أربعون ذراعاً، وعرضُه اثنا عَشَر ذراعاً. ثم طُرِحَ فيه النِّفْطُ والحطبُ، ثم عَرَضوهم عليها، فَمَنْ أَبَى قَذَفوه فيها. وقيل: قومٌ من النصارى كانوا بالقُسْطَنْطينيةِ زمانَ قُسْطَنطين.

وقال مقاتل: أصحابُ الأخدودِ ثلاثةٌ، واحدٌ بنجرانَ، والآخرُ بالشَّامِ، والآخَرُ

---

(١) في النكت والعيون ٦/ ٢٤٢ .

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٧٣ .

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٧٢ من طريق عطية العوفي عن ابن عباس، وذكره عن عطية الماوردي ٦/ ٢٤٢ .

(٤) أخرجه مطولاً الطبري ٢٤/ ٢٧٠-٢٧١ .

(٥) أخرجه ابن مردويه كما في الدر المنثور ٦/ ٣٣٣ ، وذكره البغوي ٤/ ٤٦٩ .

بفارس. أمَّا الذي بالشامِ، فأنطنيانوس الروميُّ، والذي بفارس بختنصَّر، والذي بأرض العربِ يوسف بن ذي نُواس. فلم يُنْزِل الله في الذي بفارس والشام قرآناً، وأنزل قرآناً في الذي كان بنجرانَ. وذلك أنَّ رجلين مسلمين كان أحدُهما بتهامةَ، والآخرُ بنجران، آجَرَ أحدُهما نفسَه، فجعل يعملُ ويقرأُ الإنجيلَ، فرأت ابنةُ المستأجر النور في قراءة الإنجيل، فأَخبرتْ أباها فأسْلَم. وبلغوا سبعةً وثمانين بين رجلٍ وامرأةٍ، بعدَ ما رُفع عيسى، فخدَّ لهم يوسف بنُ ذي نُواس بن تُبَّعٍ الحِميريُّ أُخدوداً، وأَوْقَد فيه النارَ، وعَرَضهم على الكفر، فَمَن أَبَى أنْ يكفر قَذفه في النار، وقال: مَن رجع عن دين عيسى لم يُقْذَف. وإنَّ امرأةً معها ولدُها صغيرٌ لم يتكلَّم، فرجعت، فقال لها ابنُها: ياأمَّاه، إنِّي أرى أمامك ناراً لا تُطْفَأ، فقَذَفا جميعاً أنفسهما في النار، فجعلها اللهُ وابنَها في الجنة. فقُذِفَ في يومٍ واحدٍ سبعةٌ وسبعون إنساناً[(١)].

وقال ابن إسحاق عن وهب بن منبِّهٍ: كان رجلٌ من بقايا أهلِ دينِ عيسى ابن مريم عليه السلام، يقال له: قيميون، وكان رجلاً صالحاً مجتهداً، زاهداً في الدنيا، مُجابَ الدعوة، وكان سائحاً في القرى، لا يُعْرَفُ بقريةٍ إلَّا مَضَى عنها، وكان بَنَّاءَ يعملُ الطِّين[(٢)].

قال محمد بن كعب القُرَظيُّ: وكان أَهلُ نَجْرانَ أهلَ شِرْكٍ يعبدون الأصنام، وكان في قريةٍ من قُراها قريباً من نجران ساحرٌ يعلِّم غلمانَ أهلِ نجران السِّحرَ، فلمَّا نزل بها قيميون، بنى بها خيمةً بين نجرانَ وبين تلك القريةِ التي بها السَّاحر، فجعل أهلُ نجران يبعثون غلمانَهم إلى ذلك الساحرِ يعلِّمهم السِّحرَ، فبعث إليه الثامر عبدَالله ابنَ الثامر، فكان مع غلمانِ أهلِ نجران، فكان عبدُ الله إذا مرَّ بصاحبِ الخيمةِ أَعْجبَه ما يرى من أمرِ صَلاتِه وعبادته، فجعل يجلسُ إليه ويسمعُ منه، حتى أَسْلَم، فوحَّد الله

---

(١) ذكره بنحوه البغوي ٤/٤٦٩-٤٧٠.

(٢) سيرة ابن هشام ١/٣١-٣٢.

وعَبَدَه، وجعل يسألهُ عن اسمِ اللهِ الأعظم، وكان الراهبُ يعلّمه، فَكَتَمَه إياه وقال: يا ابن أخي، إنَّك لن تَحْمِلَه، أخشى ضَعْفَكَ عنه، وكان أبوه الثامرُ لايظنُّ إلَّا أنَّ ابنه يختلفُ إلى الساحر كما يختلف الغلمان. فلمَّا رأى عبدُ الله أنَّ الراهبَ قد بَخِلَ عليه بتعليم اسم الله الأعظم، عمدَ إلى قِداحٍ فجمعَها، ثم لم يُبْقِ للهِ تعالى اسماً يعلَمُه إلَّا كتبه في قِدْح، لكلِّ اسمٍ قِدْحٌ، حتى إذا أحصاها أَوْقَدَ لها ناراً، ثم جعل يقذفُها فيها قِدْحاً قِدْحاً، حتى إذا مرَّ بالاسم الأَعْظَمِ قذف فيها بقِدْحِه، فوثَبَ القِدْحُ حتى خرج منها لم يضرَّه شيءٌ، فأخذه ثم قام إلى صاحبه، فأخبره أنه قد عَلِمَ اسمَ الله الأعظمَ الذي كَتَمه إياه؛ فقال: وماهو؟ قال: كذا وكذا. قال: وكيف عَلِمْتَه؟ فأخبره بما صنع. فقال له: يا ابن أخي، قد أَصَبْتَه، فأمْسِكْ على نفسك، وما أظنُّ أنْ تَفْعَلَ. فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يَبْقَ أحدٌ به ضُرٌّ إلَّا قال: يا عبد الله، أَتُوَحِّدُ الله وتَدْخُلُ في ديني، فأَدْعوَ الله لك فيعافِيكَ مما أنت فيه من البلاء؟ فيقول: نعم، فيوحِّد الله ويُسْلِم، فيدعو الله له فيشفَى، حتى لم يَبْقَ أحدٌ بنجران به ضرٌّ إلَّا أتاه فاتَّبعه على دينه، ودعا له فعُوفي، حتى رُفِع شأنُه إلى مَلِكِهم، فدعاه فقال له: أَفْسَدْتَ عليَّ أهلَ قريتي، وخالَفْتَ ديني ودين آبائي، فلأُمثِّلَنَّ بك. قال: لا تقدرُ على ذلك. فجعل يرسلُ به إلى الجبل الطويل، فيُطْرَحُ عن رأسه، فيقعُ على الأرض ليس به بأسٌ. وجعل يبعثُ به إلى مياهِ نجرانَ، بحار لا يُلْقَى فيها شيءٌ إلَّا هَلَكَ، فيُلْقَى فيها فيخرجُ ليس به بأسٌ، فلمَّا غلبه قال له عبد الله بن الثامر: والله لا تقدرُ على قتلي حتى توحِّدَ الله وتؤمنَ بما آمنتُ به، فإنك إن فعلتَ ذلك سُلِّطْتَ عليَّ وقَتَلْتني. فوحَّد الله ذلك الملكُ وشَهِدَ شهادتَه، ثم ضَرَبه بعصاً فشجَّه شجةً صغيرةً ليست بكبيرةٍ، فقتله، وهَلَكَ الملك مكانهُ، واجْتَمَعَ أهلُ نجرانَ على دينِ عبد الله بن الثَّامِر، وكان على ما جاء به عيسى ابنُ مريم من الإنجيل وحُكْمِه. ثم أصابهم ما أصاب أهلُ دينهم من الأحداث، فَمِن ذلك كان أصلُ النصرانيةِ بنجرانَ. فسار إليهم ذو نُواس اليهوديُّ بجنوده من حِمْير، فدعاهم إلى اليهودية، وخيَّرهم بين ذلك أو

القتلِ، فاختاروا القتلَ، فخدَّ لهم الأخدودَ؛ فحرَّق بالنار وقَتَلَ بالسيف، ومَثَّل بهم حتى قَتَلَ منهم عشرين ألفاً[١]. وقال وهب ابن منبه: اثني عَشَر ألفاً. وقال الكلبيُّ: كان أصحابُ الأخدودِ سبعين ألفاً[٢].

قال وهبٌ: ثم لمَّا غَلَبَ أرياط على اليمن خرج ذو نُواس هارباً، فاقتحم البحر بفرسه فغرِق. قال ابن إسحاق: وذو نُواس هذا اسمُه زُرْعةُ بنُ تُبَّان أسعد الحميريُّ، وكان أيضاً يسمَّى يوسف، وكان له غَدَائرُ من شعرٍ تَنُوسُ، أي: تضطربُ، فسُمِّي ذا نُواس، وكان فَعَلَ هذا بأهلِ نجران، فأفْلَتَ منهم رجلٌ اسمُه دَوْسٌ ذو ثَعْلَبان، فساق الحبشة لينتصر بهم، فملكوا اليمن وهلك ذو نُواس في البحر، أَلْقَى نفسَه فيه[٣]، وفيه يقولُ عمرو بن معدي كَرِب:

أَتُوْعِدني كأنَّك ذو رُعَيْنٍ ... بأَنْعَمِ عِيشَةٍ أو ذو نُواسِ
وكائن كان قبلَك من نَعِيم ... ومُلْكٍ ثابتٍ في الناس راسِ
قديمٍ عهدُه من عهدِ عادٍ ... عظيمٍ قاهرِ الجبروتِ قاسِ
أزالَ الدهرُ مُلْكَهم فأَضْحَى ... يُنَقَّل من أناسٍ في أناسِ[٤]

وذو رُعينٍ: ملكٌ من ملوك حمير. ورُعَينٌ حصنٌ له، وهو من ولد الحارث بن عمرو بن حمير بن سَبَأ.

مسألة: قال علماؤنا: أَعْلَم الله عزَّ وجلَّ المؤمنين من هذه الأمةِ في هذه الآية ما كان يلقاه مَن وَحَّد قبلهم من الشدائد، يُؤَنِّسهم بذلك. وذكر لهم النبيُّ ﷺ قصةَ الغلامِ لِيَصْبِروا على ما يلاقون من الأذى و الآلام، والمَشقَّات التي كانوا عليها، ليتأسَّوْا

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٤-٣٥ .

(٢) ذكر القولين الثعلبي في عرائس المجالس ص٤٤٢ .

(٣) التعريف والإعلام ص١٨٢ ، وبنحوه في سيرة ابن هشام ١/ ٣٠ و٣١ و٣٧.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٠ ، وعرائس المجالس ص٤٤٢ وصدر البيت الأخير فيهما: فأمسى أهله بادوا وأمسى...

بمثل هذا الغلام في صبره وتصلُّبه في الحقِّ وتمسُّكه به، وبَذْلِه نَفْسَه في حقِّ إظهارِ دعوته، ودخولِ الناس في الدين، مع صِغَرِ سنِّه وعظيمِ صَبْرِهِ. وكذلك الراهبُ صبر على التمسُّك بالحقِّ حتى نُشِرَ بالمنشار. وكذلك كثيرٌ من الناس لمَّا آمنوا بالله تعالى وَرَسَخَ الإيمانُ في قلوبهم، صبروا على الطَّرْح في النار ولم يرجعوا في دينهم(١). ابن العربيِّ: وهذا منسوخٌ عندنا، حَسْبَ ما تقدَّم بيانُه في سورة النحل(٢).

قلت: ليس بمنسوخٍ عندنا، وإنَّ الصَّبر على ذلك لِمَن قَوِيَتْ نَفْسُه وصَلُبَ دينُه أَوْلَى، قال الله تعالى مُخْبِراً عن لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧]. وروى أبو سعيد الخدريُّ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ من أَعْظَمِ الجهادِ كلمةَ عَدْلٍ عند سلطانٍ جائرٍ»: خرَّجه الترمذيُّ وقال: حديثٌ حسنٌ غريب(٣).

ورَوَى ابن سنجر ـ محمد بنُ سنجر ـ عن أميمةَ مولاة النبيِّ ﷺ قالت: كنتُ أوضِّئُ النبيَّ ﷺ، فأتاه رجلٌ فقال: أَوْصِني. فقال: «لاتُشْرِكْ بالله شيئاً وإنْ قُطِّعْتَ أو حُرِّقْتَ بالنار...» الحديث(٤).

قال علماؤنا: ولقد امتُحِنَ كثيرٌ من أصحاب النبيِّ ﷺ بالقتل والصَّلب والتعذيب الشديد، فصَبَروا ولم يلتفتوا إلى شيءٍ من ذلك، ويكفيكَ قصةُ عاصمٍ وخُبيبٍ

---

(١) المفهم ٧/ ٤٢٦ ، وفيه: .... ولم يرجعوا عن دينهم.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٠٤ ، وينظر أحكام القرآن ٣/ ١١٦٥ وما بعدها، وينظر ما سلف ١٢/ ٤٣٢ وما بعدها.

(٣) سنن الترمذي (٢١٧٤)، وأخرجه أيضاً أبو داود (٤٣٤٤)، وابن ماجه (٤٠١١)، وله شاهد من حديث أبي أمامة ﷺ سلف ١٤/ ٤٥١ . وآخر من حديث طارق بن شهاب عند أحمد (١٨٨٢٨)، والنسائي في المجتبى ٧/ ١٦١ .

(٤) لعله في مسند ابن سنجر، وقد سلف الكلام عنه ٥/ ١٤ ، و أخرجه مطولاً ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣٤٤٧)، والطبراني في الكبير ٢٤/ (٤٧٩). وأخرجه عبد بن حميد (١٥٩٤) من حديث أم أيمن رضي الله عنها. وينظر الإصابة ١٢/ ١٤١ .

وأصحابِهما، ومالَقُوا[(١)] من الحروبِ والمحنِ والقتلِ والأسرِ والحَرْقِ، وغير ذلك، وقد مضى في «النحل» أنَّ هذا إجماعٌ ممن قَوِيَ في ذلك، فتأمَّلْه هناك[(٢)].

قول تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ دعاءٌ على هؤلاء الكفَّار بالإبعاد من رحمة الله تعالى.

وقيل: معناه: الإخبارُ عن قَتْلِ أولئك المؤمنين، أي: إنهم قُتلو بالنار فصَبروا.

وقيل: هو إخبارٌ عن أولئك الظالمين، فإنه رُوي أنَّ الله قَبَضَ أرواح الذين أُلْقُوا في الأخدود قبل أن يصلوا إلى النار، وخرجتْ نارٌ من الأخدود فأَحْرقَت الذين هم عليها قعود[(٣)]. وقيل: إنَّ المؤمنين نَجَوا، وأَحْرقَت النارُ الذين قعدوا، ذكره النحاس[(٤)].

ومعنى «عليها» أي: عندها، وعلى بمعنى عند. وقيل: «عليها»: على ما يدنو منها من حافاتِ الأخدود، كما قال:

وباتَ على النارِ النَّدى والمحلَّقُ[(٥)]

والعامل في «إذ»: «قُتِل»، أي: لُعنوا في ذلك الوقت.

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ أي: حضورٌ، يعني الكفارَ، كانوا يعرِضون الكفرَ على المؤمنين، فَمَن أَبى أَلْقَوْه في النار، وفي ذلك وصفهم بالقسوة ثم بالجِدِّ في ذلك.

---

(١) يعني أصحاب النبي ﷺ عامةً، والكلام من المفهم ٤٢٦/٧ .

(٢) ينظر ٤٣٢/١٢ وما بعدها، وسلفت قصة عاصم وخبيب وأصحابهما ٣٤٣/١٣ وما بعد .

(٣) أخرجه الطبري ٢٧٦/٢٤ عن الربيع بن أنس قوله.

(٤) وذكره كذلك الفراء في معاني القرآن ٢٥٣/٣ وقال: هو أشبه بالصواب.

(٥) وصدره: تُشَبُّ لمَقْرورَيْنِ يصطليانها. والبيت للأعشى، وهو في ديوانه ص٢٧٥ ، من قصيدة في مدح المحلَّق بن حنتم بن شداد. قال الشارح: أي: بات عليها اثنان يستدفئان من البرد ويَسْمُران، هما الكرَم والمحلَّق.

وقيل: «على» بمعنى مع، أي: وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين شهود.

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾ وقرأ أبو حَيْوة: «نَقِموا» بالكسر، والفصيحُ هو الفتح[١]، وقد مضى في «براءة» القولُ فيه[٢]، أي: ما نَقَم الملِكُ وأصحابُه من الذين حَرَّقهم ﴿إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا﴾ أي: إلّا أنْ يصدِّقوا ﴿بِاللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ أي: الغالبِ المنيعِ ﴿الْحَمِيدِ﴾ أي: المحمودِ في كلِّ حال. ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لاشريكَ له فيهما ولانديدَ ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: عالمٌ بأعمالِ خَلْقِه لاتَخْفَى عليه خافيةٌ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي: حَرَّقوهم بالنار. والعربُ تقول: فَتَنَ فلانٌ الدرهمَ والدينارَ: إذا أَدْخَلَه النارَ[٣] لينظرَ جودَتَه. ودينارٌ مفتونٌ. ويسمَّى الصَّائغ: الفتَّان، وكذلك الشيطانُ، ووَرِقٌ فَتِين، أي: فضةٌ مُحْرَقةٌ[٤]. ويقال للحَرَّة[٥]: فَتين، أي: كأنها[٦] أُحْرِقَتْ حجارتُها بالنار، وذلك لسَوَادها.

﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ أي: مِن قبيحِ صَنيعِهم مع ما أَظْهَره الله لهذا الملِكِ الجبارِ الظالم

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٣٩، والقراءة في القراءات الشاذة ص١٧١ .

(٢) ١٠/ ٣٠٤ .

(٣) في (د) و(م): الكور.

(٤) في (ظ) و(م): محترقة، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في الصحاح (فتن)، والكلام منه.

(٥) الحرَّة: أرض ذات حجارة سودٍ نَخِرةٍ كأنها أحرقت بالنار. الصحاح (حرر).

(٦) في (ي) و(ظ): كأنما.

وقومِه من الآيات البيناتِ على يدِ الغلام. ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ لكُفْرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ في الدنيا لإحراقهم المؤمنين بالنار. وقد تقدَّم عن ابن عباس[١].

وقيل: «ولهم عذاب الحريق»، أي: ولهم في الآخرة عذابٌ زائدٌ على عذابِ كُفْرِهم بما أحْرقوا المؤمنين.

وقيل: لهم عذابُ الجحيم وعذابُ الحريق[٢]. والحريق: اسمٌ من أسماء جهنم، كالسَّعير. والنارُ دَرَكاتٌ وأنواعٌ ولها أسماء، وكأنَّهم يعذَّبون بالزَّمْهَرير في جهنم، ثم يعذَّبون بعذابِ الحريق. فالأولُ عذابٌ بِبَرْدها، والثاني عذابٌ بحرِّها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: هؤلاء الذين كانوا آمنوا بالله، أي: صدَّقوا به وبرسُله. ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ﴾ أي: بساتين ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ من ماءٍ غيرِ آسِنٍ، ومن لَبَنٍ لم يتغيَّر طَعْمُهُ، ومن خَمْرٍ لَذَّةٍ للشاربين، وأنهارٍ من عسلٍ مُصَفًّى. ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ أي: العظيم، الذي لا فوزَ يُشْبِهه.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ أي: أَخْذَه الجبابِرَةَ والظَّلَمَةَ، كقوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ * إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]. وقد تقدَّم. قال المبرد[٣]: «إنَّ بَطْشَ ربِّك» جوابُ القَسَم. المعنى: والسماءِ ذاتِ البروج إنَّ بَطْشَ ربِّك، وما بينهما معتَرِضٌ مؤكِّدٌ للقَسَم. وكذلك قال التِّرمذيُّ الحكيمُ في «نوادر الأصول»[٤]: إنَّ القسم واقعٌ على[٥] ذِكرِ صفتِه بالشِّدة.

---

(١) ص١٨٧ من هذا الجزء.

(٢) في (د) و(م): لهم عذاب وعذاب جهنم الحريق.

(٣) في المقتضب ٢/ ٣٣٧.

(٤) قوله: نوادر الأصول، ليس في (ي) و(ظ)، ولم نقف على هذا الكلام في المطبوع منه.

(٥) في (م): عما.

﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ يعني الخَلْقَ ـ عند أكثر العلماء ـ يخلُقهم ابتداءً، ثم يعيدُهم عند البعث. وروى عكرمةُ قال: عَجِبَ الكفارُ من إحياءِ اللهِ جلَّ ثناؤه الأمواتَ.

وقال ابن عباس: يبدئُ لهم عذابَ الحريقِ في الدنيا، ثم يعيدُه عليهم في الآخرة. وهذا اختيارُ الطبريِّ[(١)].

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ أي: السَّتُورُ لذنوبِ عبادِه المؤمنين، لا يفضحُهم بها. ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ أي: المحبُّ لأوليائه. ورَوَى الضحَّاك عن ابن عباس قال: كما يَوَدُّ أحدُكم أخاه بالبشرى والمحبةِ. وعنه أيضاً: «الودود»، أي: المتودِّدُ إلى أوليائه بالمغفرة[(٢)]. وقال مجاهد: الوادُّ لأوليائه، فعولٌ بمعنى فاعِلٍ. وقال ابن زيد: الرحيم[(٣)].

وحكى المبرِّدُ عن إسماعيل بن إسحاق القاضي: أنَّ الودودَ هو الذي لا وَلَدَ له، وأنشد قولَ الشاعر:

وأَرْكَبُ في الرَّوْعِ عُرْيانةً ذَلولَ الجَناحِ لَقاحاً وَدُودا[(٤)]

أي: لا ولَد لها تَحِنُّ إليه، ويكونُ معنى الآيةِ: إنه يَغْفِرُ لعباده وليس له ولدٌ يَغْفِرُ لهم من أَجْلِه، ليكونَ بالمَغْفِرة متفضِّلاً من غير جزاء[(٥)].

وقيل: الودودُ بمعنى المَوْدودِ، كرَكوب وحَلُوب، أي: يَوَدُّه عبادُه الصالحون ويحبُّونه[(٦)].

---

(١) في التفسير ٢٤/ ٢٨٣، وقول ابن عباس منه.

(٢) ذكره الرازي ٣١/ ١٢٣ عن الكلبي.

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٨٤.

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢٤٣، والبيت في البحر ٨/ ٤٥٢ برواية: ذلول الجماع، وفي الدر المصون ١٠/ ٤٧٨ برواية: خيفانة ذلول الجماح. وورد صدر البيت في ديوان امرئ القيس ص١٦٣. وذكر الرازي ٣١/ ١٢٤، وصاحب اللسان (ورد) البيت برواية:

وأَغْددتُ للحرب خَيْفانةً جَمُومَ الجِراءِ وَقَاحاً ودودا

(٥) النكت والعيون ٦/ ٢٤٣.

(٦) الوسيط ٤/ ٤٦٢، وتفسير الرازي ٣١/ ١٢٣.

﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ قرأ الكوفيون إلّا عاصماً: «المجيدِ» بالخفض[1]، نعتاً للعرش. وقيل: لـ «ربِّك»، أي: إنَّ بَطْشَ ربِّك المجيدِ لشديدٌ، ولم يمتنع الفَصْلُ، لأنه جارٍ مجرى الصفةِ في الشديد.

الباقون بالرفع نعتاً لـ «ذو» وهو اللهُ تعالى. واختاره أبو عُبيد وأبو حاتم؛ لأنَّ المجدَ هو النهايةُ في الكرم والفَضْلِ، والله سبحانه هو المنعوتُ بذلك. وإن كان قد وصف عرشه بالكريم في آخر «المؤمنون»، تقول العرب: في كلِّ شجرٍ نارٌ، واسْتَمْجَدَ المَرْخُ والعَفَار[2]، أي: تناهَيا فيه، حتى يُقْتَبَس منهما.

ومعنى ذو العرش: أي: ذو المُلْكِ والسُّلْطانِ، كما يقال: فلانٌ على سريرِ مُلْكِه، وإن لم يكن على سرير. ويقال: ثُلَّ عرشُه، أي: ذهب سلطانُه. وقد مضى بيانُ هذا في «الأعراف»[3] وخاصَّةً في «كتاب الأَسْنَى في شرح أسماءِ اللهِ الحُسْنَى»[4].

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ أي: لا يمتنعُ عليه شيءٌ يريدهُ. الزمخشريُّ[5]: «فَعَّالٌ» خبرُ ابتداءٍ محذوفٍ. وإنَّما قيل: «فَعَّالٌ» لأنَّ ما يريدُ ويفعلُ في غاية الكَثْرةِ. وقال الفرَّاء: هو رفعٌ على التكرير والاستئناف؛ لأنه نكرةٌ مَحْضَةٌ. وقال الطبريُّ: رُفعَ «فعالٌ» ـ وهي نكرةٌ مَحْضَةٌ ـ على وجهِ الإتباعِ لإعراب «الغفورُ الودودُ»[6].

وعن أبي السَّفَرِ قال: دخل ناسٌ من أصحاب النبيِّ ﷺ على أبي بكرٍ ﷺ يَعُودونه

---

(١) هي قراءة حمزة والكسائي. السبعة ص٦٧٨ ، والتيسير ص٢٢١ .

(٢) يريد بذكر المثل أن المجد والتمجيد قد يوصف بهما الجمادات، وقد سلف هذا المثل ١٥/ ٦٠ . وكذلك حين وصف العرش بالكرم في قوله تعالى: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون:١١٦] جاز أن يوصف العرش بالمجد؛ لأن معناه الكمال، والعرش على ما ذكر أحسن شيء وأكمله وأجمعه لصفات الحُسن. ينظر الوسيط٤/ ٤٦٢ ، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٦٣ .

(٣) ٩/ ٢٤٠ .

(٤) ص١٨٣ وما بعدها.

(٥) في الكشاف ٤/ ٢٣٩ .

(٦) ينظر تفسير الطبري ٢٤/ ٢٨٤-٢٨٥ .

فقالوا: أَلَا نأتيك بطبيب؟ قال: قد رآني! قالوا: فما قال لك؟ قال: قال: إنّي فعالٌ لِمَا أُريد[(١)].

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾ أي: قد أتاك يا محمدُ خبرَ الجموعِ الكافرةِ المكذِّبةِ لأنبيائِهم؛ يؤنِّسه بذلك ويُسلِّيه. ثم بَيَّنهم فقال: ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ وهما في موضعِ جرٍّ على البَدَلِ من «الجنودِ». المعنى: إنَّك قد عَرَفْتَ ما فَعَلَ الله بهم حين كذَّبوا أنبياءَه ورُسُلَه.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: من هؤلاء الذين لا يؤمنون بك. ﴿فِى تَكْذِيبٍ﴾ لك، كدأبِ مَن قَبْلَهم. وإنَّما خص فرعون وثمود؛ لأنَّ ثمودَ في بلاد العرب، وقصتُهم عندهم مشهورةٌ وإن كانوا من المتقدِّمين. وأمرُ فرعون كان مشهوراً عند أهل الكتَاب وغيرهم، وكان من المتأخِّرين في الهلاك، فدلَّ بهما على أمثالهما في الهلاك. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ أي: يَقْدِرُ على أن يُنْزِلَ بهم ما أَنزل بفرعون. والمحاطُ به كالمحصور. وقيل: أي: واللهُ عالمٌ بهم فهو يُجازيهم.

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ أي: مُتناهٍ في الشَّرفِ والكرمِ والبركة، وهو بيانُ ما بالناس الحاجةُ إليه من أحكام الدِّين والدنيا، لا كما زعم المشركون. وقيل: «مَجيد»، أي: غيرُ مخلوقٍ.

﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ أي: مكتوبٌ في لوح. وهو محفوظٌ عند الله تعالى من وصول

(١) أخرجه ابن سعد ٣/ ١٩٨، وهناد في الزهد (٣٨٢)، وأبو السَّفَر هو سعيد بن يُحْمِد الهمدانيُّ الكوفي، من رجال التهذيب.

الشياطين إليه. وقيل: هو أمُّ الكتاب، ومنه انتسخَ القرآنُ والكتب.

وروى الضحَّاك عن ابن عباس قال: اللوحُ من ياقوتةٍ حمراءَ، أعلاه معقودٌ بالعرش وأسفلُه في حِجْرِ مَلَكٍ يقال له: ماطريون، كتابُه نورٌ، وقَلَمُه نورٌ، ينظر الله عزَّ وجلَّ فيه كلَّ يومٍ ثلاثَ مئةٍ وستِّين نظرةً، ليس منها نظرةٌ إلَّا وهو يفعلُ ما يشاءُ؛ يرفعُ وضيعاً، ويَضَعُ رفيعاً، ويُغني فقيراً، ويُفْقِرُ غنيّاً؛ يُحيي ويُميتُ، ويفعلُ ما يشاء، لا إلهَ إلَّا هو(١).

وقال أنس بن مالك ومجاهد: إنَّ اللوحَ المحفوظَ الذي ذكره الله تعالى في جَبْهَةِ إسرافيل(٢).

وقال مقاتل: اللوحُ المحفوظُ عن يمين العرش(٣).

وقيل: اللوحُ المحفوظُ: الذي فيه أصنافُ الخلْقِ والخليقةِ، وبيانُ أمورِهم، وذِكْرُ آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم، والأقضية النافذة فيهم، ومآل عواقبِ أمورِهم، وهو أمُّ الكتاب.

وقال ابن عباس: أوَّلُ شيءٍ كَتبَه الله تعالى في اللوح المحفوظ: إنِّي أنا اللهُ لا إلهَ إلَّا أنا، محمدٌ رسولي، مَن استسلم لقضائي، وصَبر على بلائي، وشَكَر نَعْمائي، كتبتُه صدِّيقاً وبعثتُه مع الصِّدِّيقين، ومَن لم يستسلم لقضائي، ولم يَصْبر على بلائي، ولم يَشْكُر نَعْمائي، فليتَّخِذْ إلهاً سواي(٤).

وكتب الحجَّاجُ إلى محمد ابن الحنفية ﷺ يتوعَّدهُ، فكتب إليه ابنُ الحنفيةِ: بلغني

---

(١) أخرجه بنحوه الحاكم ٢/ ٥١٩، والواحدي في الوسيط ٤/ ٤٦٣ من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وأخرجه مختصراً بنحوه عبد الرزاق ١/ ٣٨٩ من طريق مجاهد عن ابن عباس.

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٨٧ عن أنس.

(٣) تفسير البغوي ٤/ ٤٧٢، وذكره الألوسي ٣٠/ ٩٤ وقال: وجاء فيه أخبار غير ذلك، ونحن نؤمن به ولا يلزمنا البحث عن ماهيته وكيفية كتابته وغير ذلك.

(٤) أخرجه الديلمي كما ذكر المناوي في الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ص٤٦.

أنَّ للهِ تعالى في كلِّ يوم ثلاثُ مئةٍ وستِّين نظرةً في اللوح المحفوظ؛ يُعِزُّ ويُذِلُّ، ويَبْتلي ويُفْرِحُ، ويفعلُ ما يريد، فلعلَّ نظرةً منها تَشْغَلُك بنفسك، فتشتغلُ بها ولا تتفرَّغ[1].

وقال بعضُ المفسِّرين: اللوحُ شيءٌ يلوحُ للملائكة فيقرؤونه.

وقرأ ابن السَّمَيْفَع وأبو حَيْوة: «قرآنُ مجيدٍ» على الإضافة[2]، أي: قرآنُ ربٍّ مجيدٍ.

وقرأ نافعٌ: «في لوحٍ محفوظٌ» بالرفعِ[3] نعتاً للقرآن، أي: بل هو قرآنٌ مجيدٌ محفوظٌ في لوح. الباقون بالجرِّ نعتاً للَّوح.

والقرَّاءُ متَّفقُون على فتح اللام من «لَوْح»، إلَّا ما روي عن يحيى بن يعمر؛ فإنه قرأ: «في لُوحٍ» بضمِّ اللام[4]، أي: إنه يَلُوحُ، وهو ذو نورٍ وعلوٍّ وشرف. قال الزمخشريُّ[5]: واللُّوحُ الهواء، يعني اللُّوح فوقَ السماءِ السابعةِ الذي فيه اللَّوح. وفي «الصِّحاح»[6]: لاحَ الشيءُ يَلُوحُ لَوْحاً، أي: لَمَحَ[7]. ولاحَهُ السَّفرُ: غيَّره. ولاحَ لَوْحاً ولُواحاً: عَطِشَ، والْتَاحَ مثلُه. واللَّوحُ: الكَتِفُ، وكلُّ عظمٍ عريضٍ. واللَّوحُ: الذي يُكْتَبُ فيه. واللُّوحُ بالضم: الهواءُ بين السماءِ والأرض. والحمد لله.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/ ١٧٦.

(٢) القراءات الشاذة ص١٧١، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٦٣.

(٣) السبعة ص٦٧٨، والتيسير ص٢٢١.

(٤) الكشاف ٤/ ٢٤٠، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٧١ عن اليماني.

(٥) في الكشاف ٤/ ٢٤٠.

(٦) مادة (لوح).

(٧) لمح: لمع. مختار الصحاح (لوح).

سُورَةُ البُرُوجِ

مَكِّيَّةٌ، وآيُها اثنتانِ وعِشرونَ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ـ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ يعني: البُروجَ الاثنَيْ عشرَ؛ شُبِّهَتْ بالقُصورِ لأنَّها تَنْزِلُها السَّيَّاراتُ، وتكونُ فيها الثَّوابتُ.

أو: مَنازِلَ القمرِ.

أو: عِظَامَ الكَواكبِ؛ سُمِّيَتْ بُروجًا لظُهورِهَا.

أو: أبوابَ السَّماءِ؛ فإنَّ النَّوازِلَ تخرجُ مِنْهَا. وأصلُ التَّركيبِ للظُّهورِ.

(٢ ـ ٣) ـ ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ﴾: يومُ القيامةِ ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ ومَن يَشْهَدُ في ذلك اليومِ مِن الخلائقِ، وما أُحضِرَ فيهِ مِن العجائبِ، وتَنْكيرُهما للإبهامِ في الوَصفِ؛ أي: وشاهِدٍ ومَشهودٍ لا يُكتَنَهُ وَصفُهُما، أو المبالغةِ في الكثرةِ؛ كأنَّه قيل: ما أفرطَتْ كثرتُه مِن شاهِدٍ ومَشهودٍ.

أو: النَّبيُّ وأمَّتُه، أو: أمَّتُه وسائرُ الأممِ، أو: كلُّ نبيٍّ وأمَّتُه.

أو: الخالِقُ والخَلْقُ، أو: عكسُهُ؛ فإنَّ الخالقَ مطَّلعٌ على خلقِهِ وهو شاهدٌ على وُجودِه.

أو: المَلَكُ الحفيظُ والمُكلَّفُ.

أو: يومُ النَّحرِ ـ أو عرفةُ ـ والحجيجُ.

أو: يومُ الجُمعةِ والمُجمِّعُ؛ فإنَّه يشهدُ له، أو: كلُّ يومٍ(١) وأهلُه.

(٤) ـ ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ قيل: إنَّهُ جوابُ القَسَمِ، على تقديرِ: لقَدْ قُتِلَ، والأظهرُ أنَّه دليلُ جوابٍ مَحذوفٍ، كأنَّه قيل: إنَّهُم مَلعونونَ ـ يعني: كفَّارَ مكَّةَ ـ كما لُعِنَ أصحابُ الأُخدودِ؛ فإنَّ السُّورةَ وردَتْ لتَثبيتِ المؤمنينَ على أذاهُمْ وتَذكيرِهم بما جرى على مَن قبلَهُم.

والأُخدودُ: الخَدُّ، وهو الشَّقُّ في الأرضِ، ونحوُهما بناءً ومَعنًى: الخَقُّ والأُخْقُوقُ.

رُوِيَ مَرْفُوعًا: أنَّ مَلِكًا كانَ له ساحرٌ، فلمَّا كَبِرَ ضمَّ إليه غلامًا ليُعلِّمَهُ، وكان في طريقِهِ راهِبٌ فمالَ قَلبُهُ إليه، فرأى في طريقِهِ ذاتَ يومٍ حيَّةً قد حَبَستِ النَّاسَ، فأخذَ حَجَرًا وقال: اللهمَّ إن كانَ الرَّاهِبُ أحبَّ إليك مِن السَّاحرِ فاقتُلْها، فقتَلَها، فكانَ الغلامُ بعدُ يُبرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ ويشفي مِن الأدواءِ، وعَمِيَ جَليسُ الملكِ فأبرَأَهُ، فسألَ الملكُ عمَّنْ أبرَأَهُ فقالَ: ربِّي، فغَضِبَ فعذَّبَه فدلَّ على الغلامِ، فعذَّبَهُ فدَلَّ على الرَّاهبِ، فقدَّهُ بالمنشارِ، وأرسلَ الغلامَ إلى جبلٍ ليُطرَحَ مِن ذِروتِهِ، فدعا فرجَفَ فهلكُوا ونجا، وأجلسَهُ في سَفينَةٍ ليَغرقَ فدعا فانكفَأَتِ(٢) السَّفينةُ بمَنْ معَهُ فغَرِقُوا ونجا، فقالَ للملكِ: لستَ بقَاتِلي حتى تجمعَ النَّاسَ وتَصلُبَنِي وتأخذَ سَهْمًا مِن كِنانَتِي وتقولَ: بسمِ اللهِ ربِّ الغُلامِ، ثمَّ تَرمِيَنِي به، فرَماهُ فوقعَ في صُدغِهِ وماتَ، فآمنَ النَّاسُ، فأمرَ بأَخادِيدَ وأوقِدَتْ فيها النِّيرانُ، فمَنْ لَمْ يرجِعْ مِنهُم طرحَهُ فيها،

---

(١) بعدها في نسخة التفتازاني: «وليلة»، وله وجه ففي «الكشاف»: وقيل: الأيَّامُ واللَّيالي وبَنُو آدمَ.

(٢) في نسخة الخيالي: «فانقلب».

حتى جاءَتِ امرأَةٌ معَها صبيٌّ فتقاعَسَتْ، فقالَ الصَّبيُّ: يا أُمَّاهُ اصبرِي فإنَّكِ على الحَقِّ، فاقتحَمَتْ(١).

وعَن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ: أنَّ بعضَ مُلوكِ المَجوسِ خطبَ بالنَّاسِ وقال: إنَّ اللهَ أحَلَّ نكاحَ الأخواتِ، فلم يقبَلُوهُ، فأمرَ بأخاديدِ النَّارِ فطُرِحَ فيها مَن أَبى(٢).

وقيل: لَمَّا تَنصَّرَ أهلُ نجران غَزاهُم ذو نُواسٍ اليَهوديُّ مِن حِمْيَرَ، فأحرقَ في الأَخاديدِ مَن لم يَرتدَّ(٣).

(٥) ـ ﴿ٱلنَّارِ﴾ بدلٌ مِن ﴿ٱلْأُخْدُودِ﴾ بدلَ الاشتمالِ ﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ صفةٌ لها بالعَظمةِ وكثرةِ ما يرتفعُ به(٤) لهبُهَا، واللامُ في ﴿ٱلْوَقُودِ﴾ للجِنْسِ.

(٦ ـ ٧) ـ ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾: على حافَّةِ النَّارِ ﴿قُعُودٌ﴾: قاعدونَ ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾: يشهَدُ بَعضُهُم لبَعضٍ عندَ المَلِكِ بأنَّه لم يُقَصِّرْ فيما أمرَهُ به، أو: يشهدونَ على ما يفعلونَ يومَ القيامةِ حينَ تشهدُ عليهِمْ ألسنتُهُم وأيديهِم.

(٨ ـ ٩) ـ ﴿وَمَا نَقَمُوا۟﴾: وما أنكرُوا ﴿مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ استثناءٌ على طريقَةِ قولِه:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الكَتَائِبِ(٥)

---

(١) رواه مطولًا مسلم (٣٠٠٥) من حديث صهيب رضي الله عنه، وسياق المصنف مختصر منه.

(٢) رواه عبدُ بن حميد في «تفسيره» كما في «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٤/ ١٨٣)، و«الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٤٦٧)، ومن طريقه الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ١٦٣ ـ ١٦٥).

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ١٧٠) عن الكلبي.

(٤) في نسخة التفتازاني: «من». قلت: والهاء في «به» تعود على «ما يرتفع»، والمراد به الوقود من الحطب الكثير وأبدان الناس. انظر: «الكشاف» (٩/ ٥٤٠).

(٥) البيت للنابغة الذبياني في «ديوانه» (ص: ١٥). وتقدم غير مرة.

ووصفَه بكونِه عزيزًا غالبًا يُخْشَى عقابُه، حميدًا مُنعِمًا يُرجى ثوابُه، وقرَّرَ ذلك بقولِه: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ للإشعارِ بما يَستحِقُّ أَنْ يُؤمَنَ به ويُعبَدَ.

(١٠) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: بَلَوْهُمْ بالأذى ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بكُفرِهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾: العذابُ الزَّائدُ في الإحراقِ بفِتنَتِهم.

وقيل: المرادُ بـ﴿ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟﴾ أصحابُ الأُخدودِ، وبـ﴿عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ ما رُوِيَ أنَّ النَّارَ انقلَبَتْ عليهِمْ فأَحْرَقَتْهُم[1].

(١١) - ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ إذ الدُّنيا وما فيها تَصغُرُ دونَه.

(١٢ - ١٣) - ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾: مُضاعَفٌ عُنفُهُ؛ فإنَّ البطشَ أخذٌ بعُنفٍ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾: يُبدِئُ الخلقَ ويُعيدُهُ، أو يُبدِئُ البَطشَ بالكفَرةِ في الدُّنيا ويُعيدُهُ في الآخرةِ.

(١٤) - ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لِمَن تابَ ﴿ٱلْوَدُودُ﴾: المحبُّ لِمَن أطاعَ.

(١٥) - ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾: خالقُهُ، وقيل: المرادُ بالعَرْشِ المُلكُ، وقُرِئَ: (ذي العرشِ)[2] صفةً لـ﴿رَبِّكَ﴾.

﴿ٱلْمَجِيدُ﴾: العظيمُ في ذاتِه وصفاتِه؛ فإنَّه واجبُ الوُجودِ تامُّ القُدرةِ والحكمةِ، وجرَّهُ حمزَةُ والكِسائيُّ[3] صفةً لـ﴿رَبِّكَ﴾، أو لـ﴿ٱلْعَرْشِ﴾ ومَجْدُهُ: عُلُوُّه وعِظَمُه[4].

---

(١) رواه الطبريُّ في «تفسيره» (٢٤/ ٢٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤١٤)، عن الربيع. وذكره الواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٦١) عن الربيع بن أنس والكلبي.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧١) عن ابن عامر في رواية.

(٣) وقرأ الباقون بالرفع. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٨)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

(٤) قوله: «ومجده..» يعني: إذا كان وصفا للعرش.

(١٦) ـ ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾: لا يَمتنِعُ عليه مرادٌ مِن أَفعالِه وأَفعالِ غَيرِه.

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ أبدلَهُما مِن ﴿ٱلْجُنُودِ﴾؛ لأنَّ المرادَ بفرعونَ هو وقَومُه، والمعنى: قد عرفتَ تَكذيبَهُم للرُّسُلِ وما حاقَ بهم، فتسلَّ واصبِرْ على تكذيبِ قَومِكَ وحَذِّرْهُم مثلَ ما أَصابَهُم.

(١٩) ـ ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ﴾: لا يَرْعَوُونَ عنه، ومعنى الإضرابِ: أنَّ حالَهُم أعجَبُ مِن حالِ هَؤلاءِ؛ فإنَّهُم سَمِعُوا قِصَّتَهُم ورَأَوْا آثارَ هَلاكِهِم وكذَّبُوا أَشَدَّ مِن تَكذيبِهِم.

(٢٠) ـ ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ لا يَفُوتُونَه كما لا يفوتُ المُحَاطُ المُحِيطَ.

(٢١) ـ ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾: بَلْ هذا الذي كذَّبوا به كتابٌ شريفٌ وحيدٌ في النَّظمِ والمعنى، وقُرِئَ: (قرآنُ مجيدٍ) بالإضافةِ[1]؛ أي: قرآنُ ربٍّ مَجيدٍ.

(٢٢) ـ ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ مِن التَّحريفِ، وقرأ نافعٌ: ﴿محفوظٌ﴾ بالرَّفعِ[2] صفةً للقُرآنِ.

وقُرِئَ: (في لُوْحٍ)[3] وهو الهواءُ، يعني: ما فوقَ السَّماءِ السَّابعةِ الذي فيه اللوحُ.

عن رَسُولِ اللهِ ﷺ: «مَن قرأَ سُورَةَ البُروجِ أعطاهُ اللهُ بعدَدِ كلِّ جمعةٍ وعرفةٍ تكونُ في الدُّنيا عشرَ حسناتٍ»[4].

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧١) عن اليماني. وهو محمد بن السميفع.

(٢) والباقون بالجر. انظر: «السبعة» (ص: ٦٧٨)، و«التيسير» (ص: ٢٢١).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٧١) عن اليماني، و«الكشاف» (٩/ ٥٤٤) عن يحيى بن يعمر، و«البحر» (٢١/ ٣٠٤) عنهما.

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٩/ ١٣٦)، والواحدي في «الوسيط» (٤/ ٤٥٧)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٣)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وقال ابن الجوزي: مصنوع بلا شكٍّ.

(٨٥) سورة البروج مكية
وآياتها اثنتان وعشرون

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج، والسماء والطارق .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ۝١٠﴾

يقسم تعالى بالسماء وبروجها وهي النجوم العظام، قال ابن عباس: البروج النجوم، وقال يحيى بن رافع : البروج قصور في السماء، وقال المنهال بن عمرو : ﴿والسماء ذات البروج﴾ الخلق الحسن، واختار ابن جرير أنها منازل الشمس والقمر ، وهي اثنا عشر برجاً تسير الشمس في كل واحد منها شهراً، ويسير القمر في كل واحد منها يومين وثلثا ، فذلك ثمانية وعشرون منزلة ويستسر ليلتين، وقوله تعالى: ﴿واليوم الموعود وشاهد ومشهود﴾ اختلف المفسرون في ذلك فروي عن أبي هريرة مرفوعاً﴿ واليوم الموعود﴾ يوم القيامة، ﴿ وشاهد﴾ يوم الجمعة، ﴿ ومشهود﴾ يوم عرفة[1] . روى الإمام أحمد، عن أبي هريرة أنه قال في هذه الآية ﴿ وشاهد ومشهود﴾ قال : الشاهد يوم الجمعة، والمشهود يوم عرفة، والموعود يوم القيامة[2] . وعن سعيد بن المسيب أنه قال، قال رسول الله ﷺ : « إن سيد الأيام يوم الجمعة، وهو الشاهد، والمشهود يوم عرفة »[3] . وروى ابن جرير عن ابن عباس قال:

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ، والأشبه أنه موقوف على أبي هريرة .

(٢) أخرجه أحمد .

(٣) هذا من مراسيل سعيد بن المسيب .

الشاهد هو محمد ﷺ، والمشهود يوم القيامة . ثم قرأ : ﴿ ذلك يوم مجموع له النـاس وذلك يوم مشهود﴾(١) .
وسأل رجل الحسن بن علي عن ﴿ وشاهد ومشهود﴾ فقال: سألت أحداً قبلي ؟ قال: نعم، سألت ابن عمر وابن الزبير فقالا: يوم الذبح ويوم الجمعة، فقال: لا ، ولكن الشاهد محمد ﷺ، ثم قرأ : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ والمشهود يوم القيامة، ثم قرأ : ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يـوم مشهود﴾(٢) وهكذا قال الحسن البصري، وقال مجاهد والضحاك: الشاهد ابن آدم، والمشهود يوم القيامة؛ وعن عكرمة: الشاهد محمد ﷺ ، والمشهود يوم الجمعة، وقال ابن عباس: الشاهد الله ، والمشهود يوم القيامة، وقال ابن أبي حاتم عن مجاهد عن ابن عباس ﴿ وشاهد ومشهود﴾ قال: الشاهد الإنسان، والمشهود يوم الجمعة(٣) ، وقال ابن جرير ، عن ابن عباس: ﴿ وشاهد ومشهود﴾ الشاهد يوم عرفة، والمشهود يوم القيامة، قال ابن جرير : وقال آخرون: ﴿ المشهود﴾ يوم الجمعة ، لحديث أبي الدرداء قال، قال رسول الله ﷺ : « أكثروا من الصلاة يوم الجمعة ، فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة »(٤) ، وعن سعيد بن جبير : الشاهد الله ، وتلا:﴿ وكفى بالله شهيداً﴾ والمشهود نحن(٥) ، وقال الأكثرون على أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة .

وقوله تعالى : ﴿ قتل أصحاب الأُخدُود﴾ أي لعن أصحاب الأخدود ، وجمعه أخاديد وهي الحفـر في الأرض ، وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله عزّ وجلّ فقهروهم، وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم، فحفروا لهم في الأرض أُخدوداً، وأججوا فيه ناراً، وأعدوا لهـا وقوداً يسعرونها به، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم، فقذفوهم فيها، ولهذا قال تعالى: ﴿ قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود ۝ إذ هم عليها قعود ۝ وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾ أي مشاهدون لمـا يفعل بأولئك المؤمنين ۝ قال الله تعالى: ﴿ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ أي وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله ﴿ العزيز﴾ الـذي لا يضام من لاذ بجنابه، ﴿ الحميد﴾ في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره، ثم قال تعالى: ﴿ الذي له ملـك السماوات والأرض﴾ من تمام الصفة أنه المالك لجميع السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، ﴿ والله على كل شيء شهيد﴾ أي لا يغيب عنه شيء في جميع السماوات والأرض، ولا تخفى عليه خافية، وقـد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة من هم ؟ فعن علي أنهم أهل فارس، حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم فامتنع عليه علماؤهم، فعمد إلى حفر أُخدود فقذف فيه من أنكر عليه منهم، واستمر فيهم تحليل المحارم إلى اليوم . وعن ابن عباس قال: ناس من بني إسرائيل خدوا أُخدوداً في الأرض ، ثم أوقدوا فيه ناراً ، ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساء ، فعرضوا عليها ، وزعموا أنه دانيال وأصحابه ، وقيل غير ذلك .

وقد روى الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن صهيب الرومي أن رسول الله ﷺ قال: « كان فيمن كان قبلكم ملك، وكان له ساحر ، فلما كبر الساحر قـال

---

(١) أخرجه ابن جرير .
(٢) أخرجه ابن جرير أيضاً .
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم .
(٤) أخرجه ابن جرير .
(٥) حكاه البغوي .

للملك: إني قد كبر سني وحضر أجلي، فادفع إليّ غلاماً لأعلمه السحر، فدفع إليه غلاماً كان يعلمه السحر، وكان بين الساحر وبين الملك راهب، فأتى الغلام على الراهب، فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه، وكان إذا أتى الساحر ضربه، وقال: ما حبسك؟ وإذا أتى أهله ضربوه، وقالوا ما حبسك؟ فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك فقل: حبسني أهلي، وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل: حبسني الساحر، قال: فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا، فقال: اليوم أعلم: أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر؟ قال، فأخذ حجراً، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس، ورماها فقتلها، ومضى الناس، فأخبر الراهب بذلك، فقال: أي بني أنت أفضل مني، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدلّ عليّ، فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم، وكان للملك جليس، فعمي، فسمع به، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: اشفني ولك ما ههنا أجمع، فقال: ما أنا أشفي أحداً، إنما يشفي الله عزَّ وجلَّ، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك، فآمن فدعا الله فشفاه، ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس، فقال الملك: يا فلان من رد عليك بصرك؟ فقال: ربي؟ فقال: أنا! قال: لا، ربي وربك الله، قال: ولك رب غيري؟ قال: نعم، ربي وربك الله، فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فبعث إليه فقال: أي بني بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء؟ قال: ما أشفي أحداً إنما يشفي الله عزَّ وجلَّ. قال: أنا؟ قال: لا، قال: أولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه أيضاً بالعذاب، فلم يزل به حتى دل على الراهب، فأتي بالراهب، فقال: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه، وقال للأعمى: ارجع عن دينك فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه، حتى وقع شقاه إلى الأرض، وقال للغلام: ارجع عن دينك فأبى، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال: إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهدهوه، فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل، فدهدهوا أجمعون، وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، فبعث به مع نفر في قرقور، فقال: إذا لججتم به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فغرقوه في البحر، فلججوا به البحر، فقال الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت فغرقوا أجمعون، وجاء الغلام حتى دخل على الملك، فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، فإن أنت فعلت ما آمرك به قتلتني، وإلا فإنك لا تستطيع قتلي، قال: وما هو، قال: تجمع الناس في صعيد واحد، ثم تصلبني على جذع، وتأخذ سهماً من كنانتي، ثم قل: باسم الله رب الغلام، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، ففعل ووضع السهم في كبد قوسه، ثم رماه وقال: باسم الله رب الغلام، فوقع السهم في صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم، ومات، فقال الناس: آمنا برب الغلام. فقيل للملك: أرأيت ما كنت تحذر؟ فقد والله نزل بك؛ قد آمن الناس كلهم، فأمر بأفواه السكك فخدت فيها الأخاديد، وأضرمت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها، قال: فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه، فكأنها تقاعست أن تقع في النار، فقال الصبي: اصبري يا أماه فإنك على الحق[1].

(١) أخرجه احمد ورواه مسلم والنسائي بنحوه.

وروى ابن أبي حاتم، عن الربيع بن أنَس في قوله تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ قال: سمعنا أنهم كانوا قوماً في زمان الفترة، فلما رأوا ما وقع في الناس من الفتنة والشر، وصاروا أحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون، اعتزلوا إلى قرية سكنوها وأقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين، فكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبارين وحدث حديثهم فأرسل إليهم، فأمرهم أن يعبدوا الأوثان التي اتخذوا وأنهم أبوا عليه كلهم، وقالوا: لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له، فقال لهم: إن لم تعبدوا هـذه الآلهة التي عبدت فإني قاتلكم، فأبوا عليه، فخد أخدوداً من نار، وقال لهم الجبار بعد أن وقفهم عليها، اختاروا هذه أو الذي نحن فيه، فقالوا: هذه أحب إلينا وفيهم نساء وذرية، ففزعت الذرية، فقالوا لهم - أي آباؤهم : لا نار من بعد اليوم، فوقعوا فيها، فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسهم حرها، وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين، فأحرقهم الله بهـا، في ذلك أنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد * الذي له ملك السماوات والأرض والله على كل شيء شهيد﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ أي حرقوا، قاله ابن عباس ومجاهد ﴿ثم لم يتوبوا﴾ أي لم يقلعوا عما فعلوا ويندموا على ما أسلفوا ﴿فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق﴾ وذلك أن الجزاء من جنس العمل، قال الحسن البصري: انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين أن ﴿لهم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم، ولهذا قال: ﴿ذلك الفوز الكبير﴾، ثم قال تعالى: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ أي إن بطشه وانتقامه من أعدائه، الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره، لشديد عظيم قوي، فإنه تعالى ذو القوة المتين، ولهذا قال تعالى: ﴿إنه هو يبدئ ويعيد﴾ أي من قوته وقدرته التامة، يبدئ الخلق ويعيده، كما بدأه بلا ممانع ولا مدافع ﴿وهو الغفور الودود﴾ أي يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه، و﴿الودود﴾ قال ابن عباس: هو الحبيب ﴿ذو العرش﴾ أي صاحب العرش العظيم العالي على جميع الخلائق. و﴿المجيد﴾ فيه قراءتان: الرفع على أنه صفة للرب عزَّ وجلَّ، والجر على أنه صفة للعرش، وكلاهما معنى صحيح، ﴿فعال لما يريد﴾ أي مهما أراد فعله لا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل لعظمته وقهره وعدله، كما روينا عن أبي بكر الصدّيق أنه قيل له وهو في مرض الموت: هل نظر إليك الطبيب،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم، وروى محمد بن اسحاق قصة أصحاب الأخدود بسياق آخر وأنها كانت مع عبدالله بن التـامر وأصحابه المؤمنين في نجران، والله أعلم.

قال: نعم، قالوا: فما قال لك؟ قال لي: إني فعال لما أريد، وقوله تعالى: ﴿هل أتاك حديث الجنود * فرعون وثمود﴾ أي هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس، وأنزل عليهم من النقمة التي لم يردها عنهم أحد؟ وهذا تقرير لقوله تعالى: ﴿إن بطش ربك لشديد﴾ أي إذا أخذ الظالم أخذه أخذاً أليماً شديداً أخذعزيز مقتدر، عن عمرو ابن ميمون قال: مرَّ النبي ﷺ على امرأة تقرأ: ﴿هل أتاك حديث الجنود﴾ فقام يستمع فقال: «نعم قد جاءني»[1]. وقوله تعالى: ﴿بل الذين كفروا في تكذيب﴾ أي هم في شك وريب وكفر وعناد، ﴿والله من ورائهم محيط﴾ أي هو قادر عليهم قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه، ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ أي عظيم كريم، ﴿في لوح محفوظ﴾ أي هو في الملأ الأعلى، محفوظ من الزيادة والنقص، والتحريف والتبديل، روى ابن أبي حاتم عن عبدالرحمن بن سلمان قال: «ما من شيء قضى الله، القرآن فما قبله وما بعده، إلا وهو في اللوح المحفوظ، واللوح المحفوظ بين عيني إسرافيل لا يؤذن له بالنظر فيه»[2]. وقال الحسن البصري: إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ، ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه، وقد روى البغوي عن ابن عباس قال: «إن في صدر اللوح: لا إله إلا الله وحده، دينه الإسلام، ومحمد عبده ورسوله، فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة»[3]. وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالى خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور، لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة، يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء»[4].

[آخر تفسير سورة البروج، ولله الحمد والمنة]

* * *

(١) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه البغوي.

(٤) أخرجه الطبراني.

تفسير سورة البروج

وهى مكية .

قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد ، حدثنا رُزَيق بن أبى سلمى ، حدثنا أبو المهزّم ، عن أبى هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج ، والسماء والطارق (١).

وقال أحمد : حدثنا أبو سعيد ـ مولى بنى (٢) هاشم ـ حدثنا حماد بنُ عباد السدوسى ، سمعت أبا المهزم يحدث عن أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ أمر أن يقرأ بالسموات فى العشاء (٣) . تفرد به أحمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) ﴾ .

يقسم الله بالسماء وبروجها ، وهى : النجوم العظام ، كما تقدم بيان ذلك فى قوله : **﴿ تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾** [الفرقان: ٦١] .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة ، والسدى : البروج : النجوم . وعن مجاهد أيضا : البروج التى فيها الحرس .

وقال يحيى بن رافع : البروج : قصور فى السماء . وقال المِنْهَال بن عمرو : **﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾** : الخلق الحسن .

واختار ابن جرير أنها : منازل الشمس والقمر ، وهى اثنا عشر برجا ، تسير الشمس فى كل واحد منها شهراً ، ويسير القمر فى كل واحد يومين وثلثا ، فذلك ثمانية وعشرون منزلة (٤) ،ويستسرّ ليلتين .

---

(١) المسند (٢/ ٣٢٦) .

(٢) فى م : « مولى ابن » .

(٣) المسند (٢/ ٣٢٧) .

(٤) فى م : « منزلاً » .

وقوله: ﴿ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ. وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ :اختلف المفسرون فى ذلك،وقد قال ابن أبى حاتم:

حدثنا عبد الله بن محمد بن عمرو الغزى [١] ، حدثنا عُبَيد الله ــ يعنى ابن موسى ــ حدثنا موسى بن عبيدة ، عن أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس الأنصارى ، عن عبد الله بن رافع ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: « ﴿ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴾ يوم القيامة ﴿ وَشَاهِدٍ ﴾ يوم الجمعة . وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة ، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه ، ولا يستعيذ فيها من شر إلا أعاذه ، ﴿ وَمَشْهُودٍ ﴾ يوم عرفة » [٢] .

وهكذا روى هذا الحديث ابن خُزَيمة ، من طرق عن موسى بن عُبَيدة الربذى ــ وهو ضعيف الحديث ــ وقد روى موقوفا على أبى هريرة ، وهو أشبه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد ، حدثنا شعبة ، سمعت على بن زيد ويونس بن عبيد يحدثان عن عمار ــ مولى بنى هاشم ــ عن أبى هريرة ــ أما علىّ فرفعه إلى النبى ﷺ ، وأما يونس فلم يَعْدُ أبا هريرة ــ أنه قال فى هذه الآية : ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ قال : يعنى الشاهدَ يومُ الجمعة ، ويوم مشهود يوم القيامة [٣] .

وقال أحمد أيضا : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن يونس ، سمعت عماراً ــ مولى بنى هاشم ــ يحدث عن أبى هريرة وأنه قال فى هذه الآية : ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾ قال : الشاهد يوم الجمعة ، والمشهود يوم عرفة ، والموعود يوم القيامة [٤] .

وقد رُوى عن أبى هريرة أنه قال : اليوم الموعود يوم القيامة . وكذلك قال الحسن ، وقتادة ، وابن زيد . ولم أرهم يختلفون فى ذلك ، ولله الحمد .

ثم قال ابن جرير : حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش ، حدثنى أبى ، حدثنا ضَمْضَم بن زُرْعَة ، عن شُرَيح بن [٥] عبيد ، عن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : « اليوم الموعود يوم القيامة ، وإن الشاهد يوم الجمعة ، وإن المشهود يوم عرفة ، ويوم الجمعة ذخره الله لنا» [٦] .

ثم قال ابن جرير : حدثنا سهل بن موسى الرازى ، حدثنا ابن أبى فُدَيْك ، عن ابن حرملة ، عن سعيد بن المسيَّب أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن سيد الأيام يوم الجمعة ، وهو الشاهدُ ، والمشهود يوم عرفة » [٧] .

---

(١) فى أ : « المقرئ ».

(٢) ورواه الترمذى فى السنن برقم (٣٣٣٩) من طريق روح بن عبادة وعبيد الله بن موسى ، عن موسى بن عبيدة به نحوه ، وقال الترمذى : « هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة ، وموسى بن عبيدة يضعف فى الحديث ، ضعفه يحيى بن سعيد وغيره » .

(٣) المسند (٢/ ٢٩٨) ووقع فيه : « يعنى الشاهد يوم عرفة ، والموعود يوم القيامة » .

(٤) المسند (٢/ ٢٩٨،٢٩٩) .

(٥) فى أ : « عن » .

(٦) تفسير الطبرى (٣٠/ ٨٢) ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير (٣/ ٢٩٨) عن هاشم بن مرثد ، عن محمد بن إسماعيل به ، وفيه ضعف وانقطاع ، وقد تقدم هذا الإسناد مراراً .

(٧) تفسير الطبرى (٣٠/ ٨٢) .

وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن المسيَّب ، ثم قال ابن جرير :

حدثنا أبو كُرَيْب ، حدثنا وَكِيع ، عن شعبة ، عن على بن زيد ، عن يوسف المكى ، عن ابن عباس قال : الشاهد هو محمد ﷺ ، والمشهود يوم القيامة ، ثم قرأ : ﴿ **ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ** ﴾ [هود:١٠٣] (١) .

وحدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن شباك قال : سأل رجل الحسن بن على عن: ﴿ **وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ** ﴾ قال :سألت أحداً قبلى ؟ قال : نعم ، سألت ابن عمر وابن الزبير ، فقالا : يوم الذبح ويوم الجمعة . فقال : لا ، ولكن الشاهد محمد ﷺ . ثم قرأ : ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلاءِ شَهِيدًا** ﴾ [النساء:٤١] ، والمشهود يوم القيامة ، ثم قرأ : ﴿ **ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ** ﴾ (٢) .

وهكذا قال الحسن البصرى . وقال سفيان الثورى ، عن ابن حرملة ، عن سعيد بن المسيب : ﴿**وَمَشْهُودٍ**﴾ يوم القيامة .

وقال مجاهد ، وعكرمة ، والضحاك : الشاهد : ابن آدم ، والمشهود : يوم القيامة .

وعن عكرمة أيضا : الشاهد : محمد ﷺ ، والمشهود : يوم الجمعة .

[وقال على بن أبى طلحة ، عن ابن عباس : الشاهد : الله ، والمشهود : يوم القيامة] (٣) .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا أبو نعيم الفضل بن دُكَيْن ، حدثنا سفيان ، عن أبى يحيى القتات ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿**وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ**﴾ قال : الشاهد : الإنسان . والمشهود : يوم الجمعة . هكذا رواه ابن أبى حاتم .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مِهْران ، عن سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد، عن ابن عباس : ﴿ **وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ**﴾ الشاهد : يوم عرفة ، والمشهود : يوم القيامة .

وبه عن سفيان ــ هو الثورى ــ عن مغيرة ، عن إبراهيم قال : يوم الذبح ، ويوم عرفة ، يعنى الشاهد والمشهود .

قال ابن جرير : وقال آخرون : المشهود يوم الجمعة . ورووا فى ذلك ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، حدثنى عمى عبد الله بن وهب ، أخبرنى عمرو بن الحارث ، عن سعيد بن أبى هلال ، عن زيد بن أيمن ، عن عبادة بن نُسَىّ ، عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثروا علىَّ من الصلاة يوم الجمعة ، فإنه يوم مشهود ، تشهده الملائكة » (٤) .

وعن سعيد بن جبير : الشاهد : الله ، وتلا ﴿ **وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا**﴾ [النساء:٧٩] ، والمشهود :

(١ ، ٢) تفسير الطبرى (٣٠/ ٨٣) .
(٣) زيادة من م ، أ ، والطبرى .
(٤) تفسير الطبرى (٣٠/ ٨٤) .

نحن . حكاه البغوى ، وقال : الأكثرون على أن الشاهد : يوم الجمعة ، والمشهود : يوم عرفة .

وقوله : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ ﴾ أى : لعن أصحاب الأخدود ، وجمعه : أخاديد ، وهى الحفير فى الأرض ، وهذا خبر عن قوم من الكفار عَمَدُوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله ، عز وجل، فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم ، فأبوا عليهم ، فحفروا لهم فى الأرض أخدوداً وأججوا فيه نار ، وأعدوا لها وقوداً يسعرونها به ، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم ، فقذفوهم فيها ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ . النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ . إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾ أى: مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ أى : وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذى لا يضام من لاذ بجنابه ، المنيع الحميد فى جميع أفعاله وأقواله وشرعه وقدره ، وإن كان قد قَدّر على عباده هؤلاء هذا الذى وقع بهم بأيدى الكفار به ، فهو العزيز الحميد ، وإن خفى سبب ذلك على كثير من الناس .

ثم قال : ﴿ الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ، ﴿ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ أى : لا يغيب عنه شىء فى جميع السموات والأرض ، ولا تخفى عليه خافية .

وقد اختلف أهل التفسير فى أهل هذه القصة ، من هم . فعن على ، رضى الله عنه، أنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج [(١)] المحارم ، فامتنع عليه علماؤهم ، فعمد إلى حفر أخدود فقذف فيه من أنكر عليه منهم ، واستمر فيهم تحليل المحارم إلى اليوم .

وعنه أنهم كانوا قوماً باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم ، فغلب مؤمنوهم على كفارهم ، ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين ، فخدُّوا لهم الأخاديد ، وأحرقوهم فيها .

وعنه أنهم كانوا من أهل الحبشة ، واحدهم [(٢)] حَبَشِىٌّ .

وقال العوفى ، عن ابن عباس : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ . النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ قال : ناس من بنى إسرائيل ، خَدّوا أخدوداً فى الأرض ، ثم أوقدوا فيه نارا ، ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساء، فعُرضوا عليها ، وزعموا أنه دانيال وأصحابه .

وهكذا قال الضحاك بن مُزَاحم ، وقيل غير ذلك . وقد قال الإمام أحمد :

حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن [(٣)] عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن صُهَيب : أن رسول الله ﷺ قال : « كان ملك فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر ، فلما كبر الساحر قال للملك : إنى قد كبرت سِنّى وحضر أجلى ، فادفع إلى غلاما أعلمه السحر . فدفع إليه غلاما فكان يعلمه السحر ، وكان بين الساحر وبين الملك راهب ، فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه، فأعجبه نحوه وكلامه ، وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال : ما حبسك ؟ وإذا أتى أهله ضربوه

---

(١) فى أ : « تزوج » . (٢) فى م ، أ : « ونبيهم » . (٣) فى أ : « بن » .

وقالوا: ما حبسك ؟ فشكا ذلك إلى الراهب ، فقال : إذا أراد الساحر أن يضربك فقل : حبسني أهلي . وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل : حبسني الساحر .

قال : فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة ، قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا ، فقال : اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر . قال : فأخذ حجراً فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحبّ إليك وأرضى من أمر الساحر ، فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس . ورماها فقتلها ، ومضى الناس . فأخبر الراهب بذلك فقال : أىْ بُنَى ، أنت أفضل منى ، وإنك ستُبتلى ، فإن ابتليت فلا تدل علي . فكان الغلام يُبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم ، وكان جليس للملك فعمى ، فسمع به ، فأتاه بهدايا كثيرة فقال : اشفني ولك ما ههنا أجمعُ . فقال: ما أنا أشفى أحداً ، إنما يشفى الله، عز وجل ، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك . فآمن فدعا الله فشفاه. ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس ، فقال له الملك : يا فلان ، من رَدّ عليك بصرك؟ فقال : ربى ؟ فقال : أنا ؟ قال : لا ، ربى وربك الله . قال : ولك رب غيرى ؟ قال : نعم ، ربى وربك الله . فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، فبعث إليه فقال : أىْ بُنَى ، بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء ؟ قال : ما أشفى أنا أحداً ، إنما يشفى الله، عز وجل . قال : أنا ؟ قال : لا . قال : أولك رب غيرى ؟ قال : ربى وربك الله . فأخذه أيضا بالعذاب ، فلم يزل به حتى دل على الراهب ، فأتى بالراهب فقال : ارجع عن دينك ، فأبى ، فوضع المنشار فى مفرق رأسه حتى وقع شقاه ،وقال للأعمى:ارجع عن دينك، فأبى ، فوضع المنشار فى مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض. وقال للغلام : ارجع عن دينك ، فأبى ، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال : إذا بلغتم ذروته،فإن رجع عن دينه وإلا فَدَهدهوه [من فوقه] (١) فذهبوا به ، فلما علوا به الجبل قال : اللهم ، افكنيهم بما شئت . فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون. وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال : ما فعل أصحابك ؟ فقال: كافنيهم الله . فبعث به مع نفر فى قُرقُور فقال : إذا لججتم به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فغرِّقوه فى البحر . فلججوا به البحر فقال الغلام : اللهم ، اكفنيهم بما شئت . فغرقوا أجمعون ، وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال : ما فعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله . ثم قال للملك : إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به ، فإن أنت فعلت ما آمرك به قتلتنى ، وإلا فإنك لا تستطيع قتلى . قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس فى صعيد واحد ثم تصلبنى على جذع ، وتأخذ سهماً من كنانتى ثم قل : « بسم الله رب الغلام » ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى. ففعل ، ووضع السهم فى كبد قوسه ثم رماه ، وقال: « باسم الله رب الغلام». فوقع السهم فى صدغه،فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات، فقال الناس : آمنا برب الغلام . فقيل للملك : أرأيت ما كنت تحذر ؟ فقد ــ والله ــ نزل بك ، قد آمن الناس كلهم. فأمر بأفواه السكك فَخُدّت فيها الأخاديد، وأضرمت فيها النيران ، وقال: من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها . قال : فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون ، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه ، فكأنها تقاعست أن تقع فى النار ، فقال الصبى : اصبرى يا أماه ، فإنك على الحق » .

---

(١) زيادة من المسند .

وهكذا رواه مسلم فى آخر الصحيح عن هُدْبة بن خالد ، عن حماد بن سلمة به نحوه [١] . ورواه النسائى عن أحمد بن سليمان ، عن عفان ، عن حماد بن سلمة[٢] . ومن طريق حماد بن زيد، كلاهما عن ثابت ، به واختصروا أوله . وقد جَوّده الإمام أبو عيسى الترمذى ، فرواه فى تفسير هذه السورة عن محمود بن غَيْلانَ وعَبد بن حُمَيد ــ المعنى واحد ــ قالا : أخبرنا عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن ثابت البُنانى ، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن صُهَيب قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر هَمَس ــ والهَمس فى قول بعضهم : تحريك شفتيه كأنه يتكلم ــ فقيل له: إنك ــ يا رسول الله ــ إذا صليت العصر همست ؟ قال : « إن نبيا من الأنبياء ، كان أُعجب بأمته فقال : من يقوم لهؤلاء ؟ . فأوحى الله إليه أن خيرهم بين أن أنتقم منهم ، وبين أن أسلط عليهم عدوهم . فاختاروا النقمة ، فسلَّط عليهم الموت ، فمات منهم فى يوم سبعون ألفا » . قال : وكان إذا حَدّث بهذا الحديث ، حَدّث بهذا الحديث الآخر قال : كان مَلك من الملوك ، وكان لذلك الملك كاهن تكهن له، فقال الكاهن : انظروا لى غلاماً فَهِماً ــ أو قال: فطناً لَقِناً ــ فأعلّمه علمى هذا . . . فذكر القصة بتمامها ، وقال فى آخره [٣] : « يقول الله عز وجل : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ. النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴾ » حتى بلغ : ﴿ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ . قال : فأما الغلام فإنه دفن قال : فيذكر أنه أخرج فى زمان عمر بن الخطاب ، وإصبعه على صُدْغه كما وضعها حين قتل . ثم قال الترمذى : حسن غريب [٤] .

وهذا السياق ليس فيه صراحة أن سياق هذه القصة من كلام النبى ﷺ . قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المِزّى : فيحتمل أن يكون من كلام صُهَيب الرومى ، فإنه كان عنده علم من أخبار النصارى ، والله أعلم .

وقد أورد محمد بن إسحاق بن يَسَار هذه القصة فى السيرة بسياق آخر، فيها مخالفة لما تقدم فقال:

حدثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القُرَظى ــ وحدثنى أيضاً بعض أهل نجران ، عن أهلها ــ : أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان ، وكان فى قرية من قراها قريباً من نجران ــ ونجران هى القرية العظمى التى إليها جمَاعُ أهل تلك البلاد ــ ساحرٌ يعلم غلمان أهل نجران السحر ، فلما نزلها فَيمُون [٥] ــ ولم يسموه لى بالاسم الذى سماه ابن منبه ، قالوا : رجل نزلها ــ ابتنى [٦] خيمة بين نجران وبين تلك القرية التى فيها الساحر ، وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر ، فبعث الثامر ابنه عبد الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران ، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته وصلاته ، فجعل يجلس إليه ويسمع منه ، حتى أسلم فوحد الله وعبده ، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم ، وكان يعلمه ، فكتمه إياه وقال له: يا ابن أخى، إنك لن تحمله ؛ أخشى ضعفك عنه . والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان ، فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه ، وتخوف ضعفه فيه ، عمد إلى أقداح فجمعها ، ثم لم يبق لله اسماً يعلمه إلا كتبه فى قدْح،

(١) المسند (٦/١٦) وصحيح مسلم برقم (٣٠٠٥) .

(٢) سنن النسائى الكبرى برقم (١١٦٦١) .

(٣) فى أ : « فى أواخره » .

(٤) سنن الترمذى برقم (٣٣٤٠) .

(٥) فى أ : « ميمون » .

(٦) فى م : « فابتنى » .

وكل اسم فى قدح ، حتى إذا أحصاها أوقد ناراً ثم جعل يقذفها فيها قدْحا قدْحاً ، حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدْحه ، فوثب القدْح حتى خرج منها لم يضره شيء ، فأخذه ثم أتى به صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم الذى كتمه فقال : وما هو : قال : هو كذا وكذا . قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع . قال : أى ابن أخى ، قد أصبته فأمسك على نفسك ، وما أظن أن تفعل .

فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحداً به ضر إلا قال : يا عبد الله ، أتوحدُ الله وتدخلُ فى دينى وأدعو الله لك فيعافيكَ مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم . فيوحد الله ويسلم، فيدعو الله له فيَشفَى ، حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه ، فاتبعه على أمره ودعا له فعوفى ، حتى رُفع شأنه إلى ملك نجران ، فدعاه فقال له : أفسدت علىّ أهل قريتى ، وخالفت دينى ودين آبائى ، لأُمثلنّ بك . قال: لا تقدر على ذلك . قال : فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل ، فَيُطرح على رأسه ، فيقع إلى الأرض ما به بأس ، وجعل يبعث به إلى مياه نجران ، بُحور لا يلقى فيها شيء إلا هلك ، فيلقى به فيها ، فيخرج ليس به بأس . فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر: إنك ــ والله ــ لا تقدر على قتلى حتى تُوَحّدَ الله فتُؤمن بما آمنت به ، فإنك إن فعلت سُلّطتَ علىّ فقتلتنى. قال: فوحّدَ الله ذلك الملك ، وشهد شهادة عبد الله بن الثامر ، ثم ضربه بعصا فى يده فشجه شجة غير كبيرة ، فقتله ، وهلك الملك مكانه . واستجمع أهلُ نجران على دين عبد الله بن الثامر ــ وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم ، عليه السلام ، من الإنجيل وحُكمه ــ ثم أصابهم ما أصاب أهلَ دينهم من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث محمد بن كعب القرظى وبعض أهل نجران عن عبد الله بن الثامر، والله أعلم أىّ ذلك كان .

قال : فسار إليهم ذو نواس بجنده ، فدعاهم إلى اليهودية ، وخيَّرهم بين ذلك أو القتل ، فاختاروا القتل ، فخدّ الأخدود ، فحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم ، حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفا ، ففى ذى نواس وجنده أنزل الله ، عز وجل ، على رسوله ﷺ : ﴿ **قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ . النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ . إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ . وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ . الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ (١) .

هكذا ذكر محمد بن إسحاق فى السيرة أن الذى قتل أصحاب الأخدود هو ذو نواس ، واسمه : زرعة ، ويسمَّى فى زمان مملكته بيوسف ، وهو ابن تبَان أسعد أبى كَرب ، وهو تُبَّع الذى غزا المدينة وكسى الكعبة ، واستصحب معه حبرين من يهود المدينة ، فكان تَهوّد من تَهوّد من أهل اليمن على يديهما ، كما ذكره ابن إسحاق مَبسوطاً ، فقتل ذو نواس فى غداة واحدة فى الأخدود عشرين ألفا ، ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له : دوس ذو ثَعلبان ، ذهب فارسا ، وطَرَدُوا وراءه فلم يُقدَر عليه ، فذهب إلى قيصر ملك الشام ، فكتب إلى النجاشى ملك الحبشة ، فأرسل معه جيشاً من نصارى الحبشة يقدمهم أرياط وأبرهة ، فاستنقذوا اليمن من أيدى اليهود ، وذهب ذو نواس هارباً

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٣٤) .

فَلَجَّج في البحر ، فغرق . واستمر مُلْكُ الحبشة فى أيدى النصارى سبعين سنة ، ثم استنقذه سيف ابن ذى يزن الحميرى من أيدى النصارى ، لما استجاش بكسرى ملك الفرس ، فأرسل معه من فى السجون ، وكانوا قريباً من سبعمائة ، ففتح بهم اليمن ، ورجع الملك إلى حمير . وسنذكر طرفاً من ذلك ــ إن شاء الله ــ فى تفسير سورة : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ .

وقال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أنه حُدِّث : أن رجلاً من أهل نجران كان فى زمان عمر بن الخطاب ، حَفَر خَرِبَة من خَرِب نجران لبعض حاجته ، فوجد عبد الله بن الثامر تحت دَفْن فيها قاعدا ، واضعا يده على ضربة فى رأسه ، ممسكا عليها بيده ، فإذا أخذت يده عنها ثَعبتْ دما ، وإذا أرسلت يده رُدّت عليها ، فأمسكت دمها ، وفى يده خاتم مكتوب فيه : ربى الله . فكُتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبره بأمره ، فكتب عمر إليهم : أن أقرّوه على حاله ، وردّوا عليه الدّفنَ الذى كان عليه . ففعلوا (١) .

وقد قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا ، رحمه الله : حدثنا أبو بلال الأشعرى ، حدثنا إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، حدثنى بعض أهل العلم : أن أبا موسى لما افتتح أصبهان وجد حائطا من حيطان المدينة قد سقط ، فبناه فسقط ، ثم بناه فسقط ، فقيل له : إن تحته رجلاً صالحاً . فحفر الأساس فوجد فيه رجلا قائماً معه سيف ، فيه مكتوب : أنا الحارث بن مضاض ، نقمت على أصحاب الأخدود . فاستخرجه أبو موسى ، وبنى الحائط ، فثبت.

قلت: هو الحارث بن مضاض بن عمرو بن مُضاض بن عمرو الجرهمى ، أحد ملوك جرهم الذين ولوا أمر الكعبة بعد ولد نَبْت (٢) بن إسماعيل بن إبراهيم ، ووَلَدُ الحارث هذا هو : عمرو بن الحارث بن مضاض هو آخر ملوك جرهم بمكة ، لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهم إلى اليمن ، وهو القائل فى شعره الذى قال ابن هشام (٣) إنه أول شعر قاله العرب :

كَأن لَم يَكُنْ بَين الحَجُون إلى الصّفا ... أَنِيسٌ ، ولـم يَسمُـر بمكَّـةَ سَامِـرُ
بَلَـى ، نَحـنُ كُنَّـا أهلَـهَا فـأبادَنَـا ... صُرُوفُ اللَّيالى والجُدودُ العَـوَاثِـرُ

وهذا يقتضى أن هذه القصة كانت قديما بعد زمان إسماعيل ، عليه السلام ، بقرب من خمسمائة سنة أو نحوها ، وما ذكره ابن إسحاق يقتضى أن قصتهم كانت فى زمان الفترة التى بين عيسى ومحمد، عليهما من الله السلام ، وهو أشبه ، والله أعلم .

وقد يحتمل أن ذلك قد وقع فى العالم كثيراً ، كما قال ابن أبى حاتم :

حدثنا أبى ، حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا صفوان ، عن عبد الرحمن بن جبير قال : كانت الأخدود فى اليمن زمان تبع ، وفى القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد ، فاتخذوا أتّونا ، وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد . وفى العراق فى أرض بابل بختنصر ، الذى وضع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له ، فامتنع دانيال وصاحباه :

(١) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٣٦) .
(٢) فى م : « ثابت » .
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١١٥) .

عزريا وميشائيل ، فأوقد لهم أتونا وألقى فيه الحطب والنار ، ثم ألقاهما فيه ، فجعلها الله عليهما برداً وسلاما ، وأنقذهما منها ، وألقى فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط ، فأكلتهم النار .

وقال أسباط ، عن السدى فى قوله : ﴿ **قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُود** ﴾ قال : كانت الأخدود ثلاثة : خَدّ بالعراق ، وخَدّ بالشام ، وخَدّ باليمن . رواه ابن أبى حاتم .

وعن مقاتل قال : كانت الأخدود ثلاثة : واحدة بنجران باليمن ، والأخرى بالشام ، والأخرى بفارس ، أما التى بالشام فهو انطنانوس الرومى ، وأما التى بفارس فهو بختنصر ، وأما التى بأرض العرب فهو يوسف ذو نواس . فأما التى بفارس والشام فلم ينزل الله فيهم قرآنا ، وأنزل فى التى كانت بنجران .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدَّشْتَكى ، حدثنا عبد الله بن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ـ هو ابن أنس ـ فى قوله : ﴿ **قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُود** ﴾ قال : سمعنا أنهم كانوا قوماً فى زمان الفترة فلما رأوا ما وقع فى الناس من الفتنة والشر وصاروا أحزاباً ، ﴿ **كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** ﴾ [المؤمنون:٥٣،الروم:٣٢] ، اعتزلوا إلى قرية سكنوها ، وأقاموا على عبادة الله ﴿ **مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ** ﴾ [البينة:٥]، وكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبارين ، وحُدِّث حديثهم ، فأرسل إليهم فأمرهم أن يعبدوا الأوثان التى اتخذوا [١] ، وأنهم أبوا عليه كلّهم وقالوا : لا نعبد إلا الله وحده ، لا شريك له . فقال لهم : إن لم تعبدوا هذه الآلهة التى عبدتُ فإنى قاتلكم . فأبوا عليه ، فخَدَّ أخدودا من نار ، وقال لهم الجبار ـ ووَقفهم عليها ـ : اختاروا هذه أو الذى نحن فيه . فقالوا : هذه أحب إلينا . وفيهم نساء وذرية ، ففزعت الذرية ، فقالوا لهم : لا نار من بعد اليوم . فوقعوا فيها ، فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسهم حَرّهُا ، وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين ، فأحرقهم الله بها ، ففى ذلك أنزل الله، عز وجل : ﴿ **قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُود . النَّارِ ذَاتِ الْوَقُود . إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ . وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيد . الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ .

ورواه ابن جرير : حُدِّثت عن عمار ، عن عبد الله بن أبى جعفر ، به نحوه [٢] .

وقوله : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَات** ﴾ أى : حَرقوا [٣] . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وابن أبْزَى .

﴿ **ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا** ﴾ أى : لم يقلعوا عما فعلوا ، ويندموا على ما أسلفوا .

﴿ **فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيق** ﴾ ، وذلك أن الجزاء من جنس العمل . قال الحسن البصرى : انظروا إلى هذا الكرم والجود ، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة .

---

(١) فى أ : « التى اتخذوها » .

(٢) تفسير الطبرى (٣٠/ ٨٨) .

(٣) فى م : « حرقوا بالنار » .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ (٢٢) ﴾ .

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين أن ﴿ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ [١] ﴾ ، بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم ؛ ولهذا قال : ﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾ .

ثم قال : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ أى : إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كَذَّبوا رسله وخالفوا أمره ، لشديد عظيم قوى ؛ فإنه تعالى ذو القوة المتين ، الذى ما شاء كان كما يشاء فى مثل لمح البصر ، أو هو أقرب ؛ ولهذا قال : ﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾ أى : من قوته وقدرته التامة يبدئ الخلق ثم يعيده كما بدأه ، بلا ممانع ولا مدافع . ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾ أى : يغفر ذنب من تاب إليه وخَضَع لديه ، ولو كان الذنب من أى شيء كان .

والودود ــ قال ابن عباس وغيره ــ : هو الحبيب ، ﴿ ذُو الْعَرْشِ ﴾ [أى : صاحب العرش] [٢] المعظم [٣] العالى على جميع الخلائق .

و ﴿ الْمَجِيدُ ﴾ فيه قراءتان : الرفع على أنه صفة للرب ،عز وجل . والجر على أنه صفة للعرش، وكلاهما معنى صحيح .

﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ أى : مهما أراد فعله ، لا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل ؛ لعظمته وقهره وحكمته وعدله ، كما روينا عن أبى بكر الصديق أنه قيل له ــ وهو فى مرض الموت ــ : هل نظر إليك الطبيب ؟ قال : نعم . قالوا : فما قال لك ؟ قال :قال لى : إنى فعال لما أريد .

وقوله : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ . فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾ أى : هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس، وأنزل عليهم من النقمة التى لم يردها عنهم أحد ؟

وهذا تقرير لقوله : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ أى : إذا أخذ الظالم أخذه أخذاً أليماً شديدا ، أخذ عزيز مقتدر .

قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا على بن محمد الطَّنَافسىّ ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبى إسحاق ، عن عمرو بن ميمون قال : مر النبى ﷺ على امرأة تقرأ : ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾ ، فقام يسمع [٤] ، فقال : « نعم ، قد جاءنى » [٥] .

---

(١) فى أ بعدها : « خالدين فيها » . (٢) زيادة من أ . (٣) فى أ : « العظيم » .
(٤) فى أ : « يستمع » . (٥) وهذا مرسل .

وقوله : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴾ أى : هم فى شك وريب وكفر وعناد ، ﴿ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴾ أى : هو قادر عليهم ، قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه ، ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴾ أى : عظيم كريم ، ﴿ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ أى : هو فى الملأ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل .

قال ابن جرير : حدثنا عمرو بن على ، حدثنا قُرَّة بن سليمان ، حدثنا حرب بن سُرَيج (١) ، حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك في قوله : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ. فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ قال: إن اللوح المحفوظ الذى ذكر الله: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ. فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾، فى جبهة إسرافيل (٢) .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ، حدثنا أبو صالح ،حدثنا معاوية بن صالح : أن أبا الأعْيَس ـ هو عبد الرحمن بن سَلْمَان ـ قال : ما من شىء قضى الله ـ القرآن فما قبله وما بعده ـ إلا وهو فى اللوح المحفوظ . واللوح المحفوظ بين عينى إسرافيل ، لا يؤذن له بالنظر فيه .

وقال الحسن البصرى : إن هذا القرآن المجيد عند الله فى لوح محفوظ ، ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه .

وقد روى البغوى من طريق إسحاق بن بشر (٣) : أخبرنى مقاتل وابن جريج ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : إنه فى صدر اللوح لا إله إلا الله وحده ، دينه الإسلام ، ومحمد عبده ورسوله ، فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله ، أدخله الجنة . قال : واللوح لوح من درة بيضاء ، طوله ما بين السماء والأرض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وحافتاه الدر والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء ، وقلمه نور ، وكلامه معقود بالعرش ، وأصله فى حجر ملك (٤) .

قال مقاتل : اللوح المحفوظ عن يمين العرش .

وقال الطبرانى : حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة ، حدثنا منجاب بن الحارث ، حدثنا إبراهيم بن يوسف ، حدثنا زياد بن عبد الله ، عن ليث ، عن عبد الملك بن سعيد بن جبير ، عن أبيه ، عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله خلق لوحاً محفوظاً من دُرَّة بيضاء ، صفحاتها من ياقوتة حمراء ، قَلَمه نور وكتابه نور ، لله فيه كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة ، يخلق ويرزق ، ويميت ويحيى ، ويُعِزُّ ويُذِلُّ ، ويفعل ما يشاء » (٥) .

آخر تفسير سورة « البروج » ولله الحمد (٦)

---

(١) فى أ : « شريح » .

(٢) تفسير الطبرى (٣٠/ ٩٠) .

(٣) فى أ : « بشير » .

(٤) معالم التنزيل للبغوى (٨/ ٣٨٩) .

(٥) المعجم الكبير (١٢/ ٧٢) وزياد وليث بن أبى سليم ضعيفان ، وقد جاء موقوفاً على ابن عباس ، رواه الطبرانى فى المعجم الكبير (١٠/ ٣١٦) من طريق بكير بن شهاب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس بنحوه .

(٦) فى أ : « والله أعلم » .

سورة البروج

مكّيّة، وهي ثنتان وعشرون آيةً.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣﴾

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ هي البروج الاثنا عشر، شُبِّهت بالقصور لأنّها تنزلها السّيّارات ويكون فيها الثوابت، أو منازلُ القمر، أو عِظامُ الكواكب، سُمّيت بروجًا لظهورها، أو أبوابُ السماء، فإنّ النوازل تخرج منها، وأصل التركيب للظهور.

﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ﴾ أي: يوم القيامة.

﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾ أي: ومَن يشهد في ذلك اليوم مِن الخلائق، وما يُحضَر فيه مِن العجائب. وتنكيرهما للإبهام في الوصف، أي: وشاهد ومشهود لا يُكتنه وصفُهما، أو للمبالغة في الكثرة.

وقيل: الشاهد محمّد صلّى الله عليه وسلّم والمشهود يوم القيامة.[1] وقيل: عيسى عليه السلام / وأمّته، لقوله تعالى: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾... إلخ [المائدة، ٥/١١٧]. وقيل: أمّة محمّد وسائر الأمم. وقيل: يوم التروية ويوم عرفة.[2] وقيل: يوم عرفة ويوم الجمعة.[3] وقيل: الحجر الأسود والحجيج. وقيل: الأيّام والليالي وبنو آدم. [٢٨٦و]

---

١ مرويّ عن ابن عبّاس والحسن بن عليّ وسعيد بن المسيّب في جامع البيان للطبري، ٢٤/٢٦٦-٢٦٧؛ وهو بلا عزو في الكشّاف للزمخشري، ٤/٥٤٧.

٢ الأقوال الثلاثة في الكشّاف للزمخشري، ٤/٥٤٧.

٣ مرويّ عن أبي هريرة وابن عبّاس وعليّ بن أبي طالب وقتادة وغيرهم في جامع البيان للطبري، ٢٤/٢٦٤-٢٦٦؛ وهو بلا عزو في الكشّاف للزمخشري، ٤/٥٤٧.

وعن الحسن: ما مِن يوم إلّا وينادي: إنّي يوم جديد وإنّي على ما يُعمَل فيّ شهيد فاغتنمني، فلو غابت شمسي لم تدركني إلى يوم القيامة. وقيل: الحَفَظة وبنو آدم. وقيل: الأنبياء ومحمّد عليهم الصلاة والسلام.[1]

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ۝١١﴾

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ قيل: هو جواب القسم على حذف "اللام" منه للطول، والأصل "لَقُتِل"،[2] كما في قول مَن قال:

حلفتُ لها بالله حَلفةَ فاجرٍ لَناموا فما إنْ مِن حديث ولا صَالِ[3]

وقيل: تقديره لقد قُتل.[4] وأيًا ما كان فالجملة خبريّة.

والأظهرُ أنّها دعائيّة دالّة على الجواب، كأنّه قيل: أقسمُ بهذه الأشياء إنّهم، أي: كفّار مكّة ملعونون كما لُعن أصحاب الأخدود، لِما أنّ السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه مِن الإيمان وتصبيرهم على أذيّة الكَفَرة وتذكيرهم بما جرى على مَن تقدّمهم مِن التعذيب على الإيمان وصَبْرهم على ذلك، حتّى يأتَسُوا بهم ويصبروا على ما كانوا يَلقَون مِن قومهم، ويعلموا أنّ هؤلاء عند الله عزّ وجلّ بمنزلة أولئك المعذِّبين ملعونون مِثلَهم أحقّاء بأن يقال فيهم ما قد قيل فيهم.[5] وقُرِئ: "قُتِّلَ"[6] بالتشديد. والأُخدود: الخدّ في الأرض، وهو الشقّ، ونحوهما بناءً ومعنًى "الخَقّ" و"الأُخْقوق".

---

١ هذه الأقوال جميعها في الكشّاف للزمخشري، ٥٤٧/٤.

٢ القول في اللباب لابن عادل، ٢٤٧/٢٠.

٣ البيت لامرئ القيس في ديوانه، ص ١٣٢، وهو بلا عزو في الدرّ المصون للسمين الحلبي، ٧٤٣/١٠، واللباب لابن عادل، ٢٤٧/٢٠.

٤ القول في التبيان للعكبري، ١٢٨٠/٢، واللباب لابن عادل، ٢٤٧/٢٠.

٥ الكلام في الكشّاف للزمخشري، ٥٤٧/٤-٥٤٨.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن أبي البَرَهسَم والحسن وابن مِقسَم. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٥٠٧، المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٩٠٦.

رُوي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه كان لبعض الملوك ساحرٌ فلمّا كبِر ضمّ إليه غلامًا ليُعلّمه السِّحرَ، وكان في طريق الغلام راهبٌ فسمع منه، فرأى في طريقه ذات يوم دابّةً قد حبست الناس، قيل: كانت الدابّة أسدًا، فأخذ حجرًا فقال: اللّهمّ إن كان الراهب أحبَّ إليك مِن الساحر فاقتلها فقتلها، فكان الغلام بعد ذلك يُبرئ الأكمَه والأبرص ويشفي مِن الأدواء.

وعَمِي جليسٌ للمَلِك فأبرَأه، فأبصره المَلِك فسأله / مَن ردّ عليك بصرَك؟ [٢٨٦ظ]
فقال: ربّي، فغَضَب فعذّبه، فدلّ على الغلام فعذّبه، فدلّ على الراهب فلم يرجع الراهبُ عن دينه فقُدّ بالمِنشار، وأبى الغلام فذُهِب به إلى جبل ليُطرح مِن ذروته فدعا فرُجِف بالقوم فطاحوا ونجا، فذُهِب به إلى قُرْقُور[١] فلجَّجوا به ليُغرِقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا.

فقال للمَلِك: لستَ بقاتلي حتّى تجمَع الناس في صعيد وتصلبني على جِذع وتأخُذ سهمًا مِن كِنانتي وتقول: "باسم الله ربّ الغلام" ثمّ ترميني به، فرماه فوَقَع في صُدغه فوَضَع يده عليه ومات، فقال الناس: "آمنّا بربّ الغلام". فقيل للمَلَك: نزل بك ما كنتَ تحذر، فأمر بأخاديدَ في أفواه السِّكَك وأوقدت فيها النيران، فمَن لم يرجع منهم طرحه فيها، حتّى جاءت امرأة معها صبيّ فتقاعست فقال الصبي: "يا أمّاه اصبري فإنّك على الحقّ" فاقتحمتْ. وقيل: قال لها: "قَعي ولا تُنافقي ما هي إلّا غُمَيضة" فصبرَت.[٢]

قيل: أُخرِج الغلام مِن قبره في خلافة عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه وأصبعه على صُدغه كما وضعها حين قُتل.[٣]

وعن عليّ رضي الله تعالى عنه: أنّ بعض ملوك المجَوس وقع على أخته وهو[٤] سكران، فلمّا صحا ندِم وطَلَب المَخرَج، فقالت له: المَخرَج أن تخطب بالناس

---

١ القُرقُور: ضرب مِن السُّفن، قيل: هي العظيمة والطويلة. لسان العرب لابن منظور، «قرقر».

٢ بلفظ قريب في مسند أحمد، ٣٥١/٣٩-٣٥٤ (٢٣٩٣١)؛ وصحيح مسلم، ٢٢٩٩/٤-٢٣٠٠ (٣٠٠٥)؛ وجامع البيان للطبري، ٢٧٣/٢٤-٢٧٥، ومعالم التنزيل للبغوي، ٣٨٣/٨-٣٨٤؛ والكشّاف للزمخشري، ٥٤٨/٤.

٣ القول في معالم التنزيل للبغوي، ٣٨٥/٨.

٤ س - وهو.

فتقول: "إنّ الله قد أحلّ نكاحَ الأخوات"، ثمّ تخطُبهم بعد ذلك أنّ الله حرّمه، فخَطَب فلم يقبلوا منه، فقالت له: ابسُط فيهم السَّوط ففعل فلم يقبلوا، فقالت: ابسُط فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا، فأمر بالأخاديد وإيقاد النيران[١] وطرح مَن أبى فيها، فهم الذين أرادهم الله تعالى[٢] بقوله: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾.[٣]

وقيل: وقع إلى نجرانَ رجل ممّن كان على دين عيسى فدعاهم فأجابوه، فسار إليهم ذو نُوَاس اليهودي[٤] بجنود مِن حِمْيَر، فخيَّرهم بين النار واليهوديّة فأبَوا، فأحرَق منهم اثني عشرَ ألفًا في الأخاديد. وقيل: سبعين ألفًا. وذُكر أنّ طول الأخدود أربعون ذراعًا وعرضَه / اثنا عشر ذراعًا.[٥] [٢٨٧و]

﴿ٱلنَّارِ﴾ بدل اشتمال مِن ﴿ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ ﴿ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ﴾ وصف لها بغاية العِظَم وارتفاع اللهَب وكثرةِ ما يُوجِبه مِن الحطب وأبدان الناس. وقُرئ: "الوُقُودِ"[٦] بالضمّ.

وقوله تعالى: ﴿إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ﴾ ظرف لـ﴿قُتِلَ﴾ أي: لُعِنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها في مكان مُشرِف عليها مِن حافّات الأخدود، كما في قوله:

وبـاتَ عـلى الـنـار الـنـدى والـمُـحـلِّـقُ[٧]

﴿وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ﴾ أي: يشهد بعضهم لبعض عند المَلِك بأنّ أحدًا لم يقصِّر فيما أُمِر به، أو أنّهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم. وقيل: ﴿عَلَىٰ﴾ بمعنى "مع"، والمعنى:

---

١ س ي: النار.

٢ س - تعالى.

٣ بلفظ قريب في جامع البيان للطبري، ٢٧١/٢٤.

٤ هو زرعة بن تبان أسعد، أحد ملوك حِميَر. وهو صاحب الأخدود. وذلك أنّه بلغه عن أهل نجران أنّهم أتاهم رجل مِن آل جفنة مِن غسّان، فردّهم إلى دين النصرانيّة. فسار إليهم ذو نواس بنفسه، حتّى احتفر في الأرض أخاديد وملأها نارًا، فمَن تبعه على دينه خلّى عنه، مَن أقام على النصرانيّة قذفه فيها. انظر: التيجان للحميري، ص ٣١٢؛ والبداية والنهاية لابن كثير، ٢٩/٣.

٥ انظر: معالم التنزيل للبغوي، ٣٨٤/٨-٣٨٥.

٦ قراءة شاذّة، مرويّة عن الحسن وأبي رجاء. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٥٠٨.

٧ عجز بيت للأعشى، صدره:

تُشبُّ لمَقرورين يَصطلِيانها

وهو في ديوانه، ص ٢٢٥؛ وله في الصحاح للجوهري، «حلق»؛ وبلا عزو في الكشّاف للزمخشري، ٥٤٩/٤. وضُبطت "اللام" في اسم "المُحلّق" في نسخة المؤلّف بالكسر، وبذلك ضبطها الجوهريُّ. واستُدرك عليه أنّها بفتح "اللام"، كما ذكر الصغاني في التكملة والذيل والصلة، «حلق»؛ والصفديُّ في تصحيح التصحيف، ص ٤٦٧.

وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين مِن العذاب حُضور لا يَرِقّون لهم لغاية قسوة قلوبهم.[١] هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وينطِق به الرِّوايات المشهورة.

وقد رُوي أنّ الجبابرة لمّا ألقَوا المؤمنين في النار وهم قعود حولها علِقت بهم النّار فأحرقتهم، ونجّى الله عزّ وجلّ المؤمنين منها سالمين. وإلى هذا القول ذهب الربيع بن أنس[٢] والواحديّ،[٣] وعلى ذلك حملا قوله تعالى ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾.[٤]

﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ﴾ أي: ما أنكروا منهم وما عابوا ﴿إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ استثناء مُفصِح عن براءتهم عمّا يُعاب ويُنكَر بالكلّيّة، على مِنهاج قوله:

ولا عيبَ فيهمْ غيرَ أنّ ضيوفَهمْ   تُلام بنسيان الأحبّةِ والوطنْ[٥]

ووصفُه تعالى بكونه عزيزًا غالبًا يُخشى عقابه وحميدًا مُنعِمًا يُرجى ثوابه، وتأكيدُ ذلك بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ للإشعار بمَناط إيمانهم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ وعدٌ لهم ووعيد شديد لمعذِّبيهم، فإنّ عِلمه تعالى بجميع الأشياء التي مِن جملتها أعمال الفريقين يستدعي توفير جزاء كلّ منهما حتمًا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ / وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي: مَحَنوهم في دينهم ليرجعوا عنه، والمراد بهم إمّا أصحاب الأخدود خاصّة، وبالمفتونين المطروحون في الأخدود، وإما الذين بَلَوهم في ذلك بالأذيّة والتعذيب على الإطلاق، وهم داخلون في جملتهم دخولًا أوّليًا. ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ﴾ أي: عن كفرهم وفتنتهم، فإنّ ما ذُكر مِن الفتنة في الدِّين لا يُتصوَّر مِن غير الكافر قطعًا. [٢٨٧ظ]

---

١ القول في اللباب لابن عادل، ٢٥١/٢٠.

٢ انظر: جامع البيان للطبري، ٢٧٦/٢٤؛ والتفسير الوسيط للواحدي، ٤٦١/٤؛ ومعالم التنزيل للبغوي، ٣٨٧/٨.

٣ انظر: التفسير الوسيط للواحدي، ٤٦١/٤.

٤ سيأتي في الآية الحادية عشرة مِن هذه السورة.

٥ ما عرفت قائله. وهو بلا عزو في خزانة الأدب لابن حجّة، ٣٩٩/٢؛ والكلّيّات للكفوي، ص ٢٧٠.

وقوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ جملة وقعت خبرًا لـ﴿إِنَّ﴾، أو الخبر ﴿لَهُمْ﴾ و﴿عَذَابُ﴾ مرتفعٌ به على الفاعليّة، وهو الأحسن. و"الفاء" لتضمُّن المبتدأ معنى الشرط. ولا ضيرَ في نَسْخه بـ﴿إِنَّ﴾، وإن خالفه الأخفشُ.[١] والمعنى: لهم في الآخرة عذاب جهنّم بسبب كفرهم. ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ وهي نار أخرى عظيمة بسبب فتنتهم للمؤمنين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ على الإطلاق مِن المفتونين وغيرهم ﴿لَهُمْ﴾ بسبب ما ذُكر مِن الإيمان والعمل الصالح ﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ إن أريدَ بالجنّات الأشجارُ فجريان الأنهار مِن تحتها ظاهرٌ، وإن أريدَ بها الأرضُ المشتمِلة عليها فالتحتيّة باعتبار جزئها الظاهر، فإنّ أشجارها ساترةٌ لساحتها كما يُعرِب عنه اسم الجنّة، وقد مرّ بيانه مِرارًا.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إمّا إلى الجنّات الموصوفة، والتذكيرُ لتأويلها بما ذُكر للإشعار بأنّ مَدار الحُكم عنوانُها الذي يتنافس فيه المتنافِسون، فإنّ اسم الإشارة متعرِّض لذات المشار إليه مِن حيث اتّصافُه بأوصافه المذكورة لا لذاته فقط كما هو شأن الضمير، فإذا أشيرَ إلى الجنّات مِن حيث ذِكرُها فقد اعتُبر معها عنوانها المذكورُ حتمًا. وإمّا إلى ما يُفيده[٢] قوله تعالى: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾... إلخ، مِن حِيازتهم لها، فإنّ حصولها لهم مستلزمٌ لحِيازتهم لها قطعًا. وأيًا ما كان فما فيه مِن معنى البُعد للإيذان بعُلوّ درجته وبُعد منزلته في الفضل والشرف. ومحلُّه الرفع على الابتداء خبرُه ما بعده، أي: ذلك المذكور العظيم الشأنِ.

﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ الذي تصغُر عنده الدنيا وما فيها مِن فنون الرغائب بحذافيرها. و﴿ٱلْفَوْزُ﴾: النجاة مِن الشرّ والظفَرُ بالخير، فعلى الأوّل[٣] هو مصدر أُطلقَ على المفعول مبالغةً، وعلى الثاني[٤] مصدرٌ على حاله.

---

١ الكلام في اللباب لابن عادل، ٢٥٣/٢٠.

٢ السياق: إشارة إمّا إلى الجنّات... وإمّا إلى ما يفيده...

٣ وفي هامش م: هو كون ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الجنّات. «منه».

٤ وفي هامش م: هو كونه إشارة إلى ما يُفيده قوله تعالى: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾. «منه».

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ۝٢٠ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ / استئناف خُوطِب به النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إيذانًا [٢٨٨و] بأنّ لكفّار قومه نصيبًا موفورًا مِن مضمونه كما ينبئ عنه التعرّض لعنوان الربوبيّة مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام. والبطش: الأَخْذ بعُنف، وحيث وُصف بالشدَّة فقد تضاعَف وتفاقَم، وهو بطشُه بالجبابرة والظَلَمة وأَخذه إيّاهم بالعذاب والانتقام، كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود، ١٠٢/١١].

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ أي: هو يُبدئ الخلق وهو يُعيده مِن غير دَخلٍ لأحد في شيء منهما، ففيه مزيدُ تقرير لشدّة بطشه، أو هو يُبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويُعيده في الآخرة.

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لمَن تاب وآمن ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ المُحبّ لمَن أطاع.

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ خالقُه. وقيل: المراد بالعرش المُلك،[١] أي: ذو السلطنة القاهرة. وقُرئ: "ذِي العَرْشِ"[٢] على أنّه صفة ﴿رَبِّكَ﴾. ﴿ٱلْمَجِيدُ﴾ العظيمُ في ذاته وصفاته، فإنّه واجب الوجود تامّ القُدرة كامل الحِكمة. وقُرئ بالجرّ[٣] على أنّه صفة لـ﴿رَبِّكَ﴾ أو لـ﴿ٱلْعَرْشِ﴾. ومجدُه: عُلوّه وعظمتُه.

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ بحيث لا يتخلّف عن إرادته مُراد مِن أفعاله تعالى وأفعالِ غيره، وهو خبرُ مبتدأ محذوف.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾ استئناف مقرّر لشدّة بطشه تعالى بالظلَمة العُصاة والكفَرة العُتاة، وكونُه فعّالًا لِما يريد متضمِّن لتسليته صلّى الله عليه وسلّم بالإشعار بأنّه سيُصيب قومَه ما أصاب الجنود. ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ بدل مِن ﴿ٱلْجُنُودِ﴾؛ لأنّ المراد بـ﴿فِرْعَوْنَ﴾ هو وقومه. والمراد بـ"حديثهم" ما صدر عنهم

---

١ القول في أنوار التنزيل للبيضاوي، ٥١٩/٣.
٢ قراءة شاذّة، مرويّة عن ابن بكّار عن ابن عامر. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٥٠٩.
٣ قرأ بها حمزة والكسائي وخلف. النشر لابن الجزري، ٣٩٩/٢.

مِن التمادي في الكفر والضلال وما حلّ بهم مِن العذاب والنَّكال، والمعنى: قد أتاك حديثهم وعرفتَ ما فعلوا وما فُعل بهم فذكِّر قومك بشئون الله تعالى وأنذِرهم أن يصيبهم مثلُ ما أصاب أمثالَهم.

وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٍ﴾ إضراب عن مُماثلتهم لهم وبيانٌ لكونهم أشدَّ منهم في الكفر والطغيان، كأنّه قيل: ليسوا مثلَهم في ذلك؛ بل هم أشدّ منهم في استحقاق العذاب واستيجاب العقاب، فإنّهم مستقرِّون في تكذيب شديدٍ للقرآن الكريم، أو قيل: ليست جنايتُهم مجرَّدَ عدم التذكّر والاتّعاظ بمّا سمعوا مِن حديثهم؛ بل هم مع ذلك في تكذيب شديد للقرآن / الناطق بذلك لكن لا أنّهم يكذّبون بوقوع الحادثة؛ بل يكون ما نطَق به قرآنًا [٢٨٨ظ] مِن عند الله تعالى مع وضوح أمره وظهور حاله بالبيّنات الباهرة.

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾ تمثيل لعدم نجاتِهم مِن بأس الله تعالى بعدم فَوْت المُحاطِ المُحيطَ.

وقوله تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ﴾ ردّ لكفرهم وإبطالٌ لتكذيبهم وتحقيقٌ للحقّ، أي: ليس الأمر كما قالوا بل هو كتاب شريف عالي الطبقةِ فيما بين الكتب الإلهيّة في النظم والمعنى. وقُرئ: "قُرآنُ مَجيدٍ"[١] بالإضافة، أي: قرآنُ ربٍّ مَجيدٍ.

﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾ أي: مِن التحريف ووصول الشياطين إليه. وقُرئ: "مَحفُوظٌ"[٢] بالرفع على أنّه صفة ﴿قُرۡءَانٞ﴾. وقُرئ: "فِي لُوحٍ"[٣] وهو الهواء، أي: ما فوق السماء السابعة التي فيه اللوح.

عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «مَن قرأ سورة البروج أعطاه الله تعالى بعدد كلّ جمعة وعَرَفةٍ تكون في الدنيا عشر حسنات».[٤]

---

١ قراءة شاذّة، مرويّة عن اليماني. شواذّ القرآن لابن خالويه، ص ١٧١.

٢ قرأ بها نافع. النشر لابن الجزري، ٢/٣٩٩.

٣ قراءة شاذّة، مرويّة عن اليماني وطاوس. شواذّ القراءات للكرماني، ص ٥٠٩؛ المغني في القراءات للنّوزاوازي، ص ١٩٠٧.

٤ بلفظ قريب في الكشف والبيان للثعلبي، ١٣٦/٢٩ (البروج، ١/٨٥)؛ والتفسير الوسيط للواحدي، ٤٥٧/٤ (البروج، ١/٨٥)؛ والكشّاف للزمخشري، ٥٥٠/٤. وهو جزء مِن حديث أُبيّ بن كعب رضي الله عنه في فضائل السور. انظر: الموضوعات لابن الجوزي، ٢٤٠/١.

٨٥

سورة البروج

مكية، ثنتانِ وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿والسَّماءِ ذاتِ البُروجِ﴾ ـ للكواكبِ اثنا عشَرَ بُرجًا تقدَّمت في «الفُرقان» ـ ٢ ـ ﴿واليَومِ المَوعُودِ﴾: يومِ القيامة، ٣ ـ ﴿وشاهِدٍ﴾: يومِ الجُمعة ﴿ومَشهُودٍ﴾: يومِ عرَفة ـ كذا فُسِّرت الثلاثة في الحديث. فالأوّل موعود به، والثاني شاهد بالعمل فيه، والثالث تشهده الناس والملائكة ـ وجوابُ القسم محذوف صدرُه، أي: لقد ٤ ـ ﴿قُتِلَ﴾: لُعِن ﴿أصحابُ الأُخدُودِ﴾: الشقِّ في الأرض،........

سورة البروج

قولُهُ: (فِي الحَدِيثِ) أخرجَهُ ابنُ جَريرٍ عن أبي هُريرةَ مرفُوعاً، كذا في «المبهمات»[١]، وقيل: الشَّاهدُ والمشهودُ يومُ النَّحرِ أو عرفَة والحجيج، فإنَّه يُشهَدُ له، أو كلُّ يومٍ وأهلُهُ، في «الكشاف»[٢] عن الحسنِ: ما من يومٍ إلا ويُنادِي إنِّي يومٌ جديدٌ، وإنِّي على ما تعملُ فيَّ شهيدٌ، فاغتَنِمني فلو غابت شَمسي لم تُدرِكني إلى يوم القيامَةِ.

قولُهُ: (الشَّقِّ) أخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ من طريقِ قتادةَ قال: كنَّا نُحدَّثُ أنَّ عليًّا قال: هم ناسٌ كانوا بمذارعِ اليمنِ، وأخرَجَ من طريقِ الحسَنِ عنه قال: هُم الحبَشَة، كذا في «المبهمات»[٣]، ورويَ مَرفوعاً: «أنَّ مَلِكاً كانَ

---

(١) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١١٦).

والحديث رواه الترمذي (٣٣٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٣٢، ٣٣٤)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١٠٨٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥٥٦٤). قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث؛ ضعفه يحيى بن سعيد وغيره من قبل حفظه، وقد تكلم فيه يحيى بن سعيد القطان وغيره من قبل حفظه.

(٢) انظر: «الكشاف» (٤/ ٧٢٩).

(٣) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١١٦).

٥ ـ ﴿النّارِ﴾: بدلُ اشتمال منه ﴿ذاتِ الوَقُودِ﴾: ما تُوقد به، ٦ ـ ٧ ـ ﴿إذ هُم علَيها﴾ أي: حولها على جانب الأُخدود على الكراسيّ ﴿قُعُودٌ، وهُم علَى ما يَفعَلُونَ بِالمُؤمِنِينَ﴾ بالله من تعذيبهم بالإلقاء في النار، إن لم يرجعوا عن إيمانهم، ﴿شُهُودٌ﴾: حُضور ـ رُوي أنّ الله أنجى المُؤمنين المُلقَين في النار بقبض أرواحهم قبل وُقوعهم فيها، وخرجَتِ النار إلى مَن ثَمَّ فأحرقتْهم ـ ٨ ـ ﴿وما نَقَمُوا مِنهُم إلاّ أن يُؤمِنُوا بِاللهِ العَزِيزِ﴾ في مُلكه ﴿الحَمِيدِ﴾ المحمود، ٩ ـ ﴿الَّذي لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، واللهُ علَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ﴾. أي: ما أنكرَ الكُفّار على المُؤمنين إلاّ إيمانهم.

١٠ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ﴾ بالإحراق ﴿ثُمَّ لَم يَتُوبُوا فلَهُم عَذابُ جَهَنَّمَ﴾ بكُفرهم ﴿ولَهُم عَذابُ الحَرِيقِ﴾ أي: عذاب إحراقهم المُؤمنين في الآخرة،.............

له ساحِرٌ، فلَمَّا كَبرَ ضمَّ إليه غُلاماً ليُعلِّمَهُ وكان في طريقِهِ راهِبٌ، فمالَ قلبُهُ إليه فرأى في طريقِهِ ذاتَ يوم حيَّةً قَد حبسَتِ النَّاسَ فأخذَ حَجَراً وقال: اللهُمَّ إن كانَ الرَّاهِبُ أحبَّ إليك من السَّاحِرِ فاقتُلها فقتَلَها، فكان الغُلامُ بعدُ يُبرئُ الأكمَهَ والأبرَصَ، ويشفِي من الأدواءِ، وعَمِيَ جليسٌ للملِكِ، فأبرَأَهُ فسألَهُ الملِكُ عمَّن أبرأَهُ فقالَ: رَبِّي فغضِبَ فعذَّبَهُ، فدلَّ على الغُلامِ فعذَّبَهُ، فدلَّ على الرَّاهِبِ فقَدَّهُ[١] بالمنشَارِ، وأرسَلَ الغُلامَ إلى جبلٍ ليُطرَحَ مِن ذروتِهِ فدعا فرجَفَ فهلَكُوا ونَجا، وأجلسَهُ في سفينَةٍ ليَغرَقَ فَدعا فانكَفَأَتِ السَّفينَةُ بمَن معهُ فغرِقُوا ونجا، فقالَ للملِكَ: لستَ بقاتِلي حتَّى تجمَعَ النَّاسَ وتصلُبَني وتأخُذَ سهماً مِن كنانَتِي وتقولَ: باسم الله ربِّ هذا الغُلامِ، ثمَّ ترمِيني به، فرَماهُ فوقَعَ في صدغهِ ومات فآمنَ النَّاسُ فأمَرَ بأَخادِيدَ أُوقِدَ فيها النِّيرانُ، فمَن لم يرجِعْ منهُم طرحَهُ فيها، حتَّى جاءَت امرأَةٌ معَها صبيٌّ فتَقاعَسَتْ ـ أي: تأخَّرَت ـ فقال الصَّبِيُّ: يا أُمَّاهُ اصبِري فإنَّكِ على الحَقِّ، فاقتحَمَت ـ أي: دَخلَت ـ» رواهُ مُسلِمٌ بمعناه[٢].

قولُهُ: (في مُلكِهِ) غالِبٌ يُخشَى عقابُهُ.

قولُه: (المَحمُودِ) مُنعِمٌ يرجى ثوابُهُ.

قولُهُ: (إلَّا إِيمَانَهُم) وهو ممَّا لا يُنكَرُ، فيكونُ من بابِ تأكيدِ المدحِ بما يُشبِهُ الذَّمَّ، كقولِه[٣]:

وَلا عَيبَ فِيهِم غيرَ أنَّ سُيُوفَهُم ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِن قِراعِ الكَتائِبِ

قولُهُ: (بالإحرَاقِ) أي: بَلوهُم به.

قولُهُ: (عَذَابُ إِحرَاقِهِم) أو العَذابُ الزَّائدُ في الإحراقِ لفتنَتِهِم.

---

(١) القد: الشق طولا. «الصحاح» (٢/ ٥٢٢).

(٢) رواه مسلم (٣٠٠٥) من حديث صهيب بن سنان رضي الله عنه.

(٣) قائله: النابغة الذبياني، انظر: «ديوانه» (ص: ٣٢).

وقيل: في الدنيا بأن خرجت النار فأحرقتهم كما تقدّم. ١١ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهم جَنّاتٌ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ. ذلِكَ الفَوزُ الكَبِيرُ﴾.

١٢ ـ ﴿إِنَّ بَطشَ رَبِّكَ﴾ بالكُفّار ﴿لَشَدِيدٌ﴾ بحسَب إرادته. ١٣ ـ ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبدِئُ﴾ الخلقَ ﴿ويُعِيدُ﴾ فلا يُعجِزه ما يُريد، ١٤ ـ ﴿وهُوَ الغَفُورُ﴾ للمُذنبين المُؤمنين ﴿الوَدُودُ﴾: المُتودّد إلى أوليائه بالكرامة، ١٥ ـ ﴿ذُو العَرشِ﴾: خالقُه ومالكه ﴿المَجِيدُ﴾، بالرفع: المستحقُّ لكمال صفات العُلوّ، ١٦ ـ ﴿فَعّالٌ لِما يُرِيدُ﴾: لا يُعجزه شيء.

١٧ ـ ١٨ ـ ﴿هَل أَتاكَ﴾ ـ يا مُحمّدُ ـ ﴿حَدِيثُ الجُنُودِ، فِرعَونَ وثَمُودَ﴾؟ بدلٌ من الجنود. واستُغني بذكر فرعون عن أتباعه. وحديثُهم أنهم أُهلكوا بكُفرهم. وهذا تنبيه لمن كفر بالنبيّ والقُرآن ليتّعظوا. ١٩ ـ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكذِيبٍ﴾ بما ذُكِر، ٢٠ ـ ﴿واللهُ مِن وَرائِهِم مُحِيطٌ﴾ لا عاصم لهم منه.

قولُهُ: (بالكُفّارِ) والبَطشُ: أخذٌ بعُنفٍ.

قولُهُ: (الخَلقَ) قالَ جعفرٌ[1]: يُبدِئ فيُغني عمّا سواهُ، ثمَّ يُعيدُ فيَبقى ببَقائِهِ.

قولُهُ: (المُؤمِنِينَ) ولمن تابَ من الكافِرينَ.

قولُهُ: (المُتَوَدِّد) أو المودُودُ لمن أطاعَ.

قولُهُ: (خالِقُهُ) قالَ الواسِطيُّ[2]: هو أعلى من أن يكونَ له فيه وإليه حاجَةٌ، بل أظهَرَ العَرشَ إظهاراً لقُدرتِهِ لا مكاناً لذاتِهِ.

قولُهُ: (بالرَّفعِ) غيرُ حمزَةَ والكسائيِّ[3]، فحقُّهُ أن يقولَ: وبالجرِّ؛ ليكونَ لهما على أنّه صفَةٌ للعرشِ، ومجدُهُ: عُلوُّهُ وعُظمُه، وأمّا على الرَّفعِ فإنّه تعالى عَظيمٌ في ذاتِهِ وصفاتِهِ، فإنّه واجبُ الوجودِ تامُّ القُدرَةِ والحِكمَة.

قولُهُ: (عَن أَتبَاعِه) كما اكتَفَى بأتباعِهِ عنه في مَواضِع.

قولُهُ: (تَنبِيه) وتسلِيةٌ له ﷺ وللمؤمِنينَ.

قولُهُ: (بمَا ذُكِرَ) لا يدعونَ عنهُ.

قولُهُ: (لا عَاصِمَ) أو لا يفوتونَهُ، كما لا يَفوتُ المحاطُ المحيطَ.

---

(١) انظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٣٨٦).

(٢) انظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٣٨٧).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٧٨).

٢١ ـ ﴿بَلْ هُوَ قُرآنٌ مَجِيدٌ﴾: عظيم، ٢٢ ـ ﴿فِي لَوحٍ﴾ هو في الهواء فوق السماء السابعة ﴿مَحفُوظٍ﴾ ـ بالجرّ ـ من الشياطين، ومن تغيير شيء منه، طولُه ما بين السماء والأرض، وعرضُه ما بين المشرق والمغرب، وهو من دُرّة بيضاء. قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

قولُهُ: (هُو في الهَواءِ) وقُرِئَ بالضمِّ[1]، وهو الهواءُ.

قولُهُ: (بالجَرِّ) للجُمهورِ، وبالرَّفعِ لنافعٍ[2] صفَةً للقُرآنِ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، والله تعالى أعلمُ.

* * *

(١) أي: (في لوح) وهي قراءة شاذة، ونسبت لليماني، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٥٠٩).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٧٨).

سُورَةُ البُرُوجِ

لا خلافَ في مكّيتها، ولا في كونها اثنتين وعشرين آيةً.

ووجهُ مناسبتها لِمَا قبلها اشتمالُها[1] كالتي قبلُ على وعد المؤمنين ووعيدِ الكافرين، مع التنويه بشأن القرآن وفخامة قَدْرِه.

وفي «البحر»: أنه سبحانه لَمَّا ذكر أنه جل وعلا أعلم بما يجمعون لرسول الله ﷺ والمؤمنين من المكر والخداع وإيذاء مَن أسلم بأنواعٍ من الأذى، كالضرب والقتل والصلب، والحرقِ بالشمس، وإحماءِ الصخر ووضعِ أجسادِ مَن يريدون أن يَفْتِنوه عليه، ذكر سبحانه أن هذه الشِّنْشِنةَ كانت فيمَن تقدَّم من الأُمم، فكانوا يعذِّبون بالنار، وأن المعذَّبين كان لهم من الثبات في الإيمان ما منعهم أن يرجعوا عن دينهم، وأنَّ الذين عذَّبوهم ملعونون، فكذلك الذين عذَّبوا المؤمنين من كفار قريش، فهذه السورة عظةٌ لقريش، وتثبيتٌ لمن يعذِّبونه من المؤمنين[2]. انتهى، وهو وجهٌ وجيهٌ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١﴾ أي: القصور، كما قال ابن عباس وغيرُه. والمراد بها عند جمعٍ البروجُ الاثنا عشر المعروفة.

وأصلُ البُرْج: الأمر الظاهر، ثم صار حقيقةً للقصر العالي؛ لأنه ظاهرٌ للناظرين. ويقال لِمَا ارتفع من سور المدينة بُرْجٌ أيضاً. وبروجُ السماء بالمعنى

---

(١) في (م): باشتمالها، وهو تصحيف.

(٢) البحر ٨/ ٤٤٩.

المعروف وإن التحقتْ بالحقيقة، فهي في الأصل استعارةٌ، فإنها شبِّهت بالقصور لعلوِّها، ولأنَّ النجوم نازلةٌ فيها كسكَّانها، فهناك استعارةٌ مصرِّحةٌ تتبعها مكنيةٌ.

وقيل: شبِّهت السماء بسور المدينة فأُثبت لها البروج.

وقيل: هي منازلُ القمر. وهذا راجعٌ إلى القول الأول؛ لأن البروج منقسمةٌ إلى ثمانيةٍ وعشرين منزلاً، وقد تقدَّم الكلامُ فيها(١).

وقال مجاهدٌ والحسن وعكرمةُ وقتادةُ: هي النجوم. وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله(٢) رضي الله عنه فيه حديثاً مرفوعاً بلفظ «الكواكب» بدل النجوم، والله تعالى أعلم بصحَّته.

وأخرج ابن المنذر وعبد بن حميد عن أبي صالح أنه قال: هي النجومُ العِظامُ(٣). وعليه إنما سمِّيت بروجاً لظهورها، وكذا على ما قبله وإن اختلف الظهور ولم يَظْهَرْ شمولُه جميعَ النجوم.

وقيل: هي أبوابُ السماء، وسمِّيت بذلك لأن النوازل تخرج مع(٤) الملائكة عليهم السلام منها، فجعِلَتْ مشبَّهةً بقصور العظماء النازلةِ أوامِرُهم منها، أو لأنها لكونها مبدأً للظهور وُصفت به مجازاً في الطَّرف. وقيل: في النسبة.

والبروجُ الاثنا عشر في الحقيقة على ما ذكره محقِّقو أهل الهيئة معتبرةٌ في الفلك الأعلى المسمَّى بفلك الأفلاك، والفلك الأطلس، وزعموا أنه العرشُ بلسان الشرع، لكنها لَمَّا لم تكن ظاهرةً حسًّا دلُّوا عليها بما سامَتَها وقتَ تقسيم الفلك الأعلى من الصور المعروفة، كالحمل والثور وغيرهما، التي هي في الفلك الثامن المسمَّى عندهم بفلك الثوابت، وبالكرسيِّ في لسان الشرع على ما زعموا، فبرج الحمل مثلاً ليس إلا جزءاً من اثني عشر جزءاً من الفلك الأعلى سامتَتْه صورة

---

(١) عند تفسير الآية (٥) من سورة يونس، والآية (٣٩) من سورة ﴿يسٓ﴾.
(٢) كما في الدر المنثور ٦/ ٣٣١.
(٣) الدر المنثور ٦/ ٣٣١.
(٤) في (م): من، وهو خطأ.

الحمل من الثوابت وقتَ التقسيم، وبرجُ الثور ليس إلا جزءاً من ذلك سامتَتْه صورة الثور منها ذلك الوقت أيضاً، وهكذا. وإنما قيل: وقت التقسيم؛ لأن كلَّ صورة قد خرجت لحركتها وإن كانت بطيئةً عما كانت مُسامِتَةً له من تلك البروج، حتى كاد يسامتُ الحمل اليوم برج الثور، والثور برج الجوزاء، وهكذا.

فعلى هذا، وكونُ المراد بالبروج البروجَ الاثني عشر أو المنازلَ، قيل: المراد بالسماء الفلك الأعلى، وقيل: الفلك الثامن لظهور الصور الدالة على البروج فيه، ولذا يسمَّى فلك البروج. وقيل: السماء الدنيا؛ لأنها تُرى فيها بظاهر الحسِّ نظير ما قيل في قوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [فصلت: ١٢] وقيل: الجنس الشامل لكلِّ سماءٍ؛ لأن السماوات شفَّافةٌ فيشارك العليا فيما فيها السفلى؛ لأنه يرى فيها ظاهراً.

وإذا أريد بالبروج النجومُ، فقيل: المراد بالسماء الفلك الثامن؛ لأنها فيه حقيقة. وقيل: السماء الدنيا. وقيل: الجنس، على نحو ما مرَّ، ولا يراد ـ على ما قيل ـ الفلكُ الأطلس، أعني الفلك الأعلى، لأنه كاسْمِه غيرُ مكوكبٍ.

وإذا أُريد بها الأبواب، فقيل: المراد بالسماء ما عدا فلك الأفلاك المسمَّى بلسان الشرع بالعرش، فإنه لم يَرِدْ أنَّ له أبواباً.

هذا وأنت تعلم أنَّ أكثر ما ذُكر مبنيٌّ على كلام أهل الهيئة المتقدِّمين، وهو لا يصحُّ له مستندٌ شرعاً، ولا تكاد تسمع فيه إطلاقَ السماء على العرش أو الكرسي، لكن لَمَّا سمع بعض الإسلاميين من الفلاسفة أفلاكاً تسعةً، وأراد تطبيق ذلك على ما ورد[1] في الشرع، زعم أنَّ سبعةً منها هي السماواتُ السبع، والاثنين الباقيين هما الكرسيُّ والعرش، ولم يَدْرِ أنَّ في الأخبار ما يأبى ذلك، وكونُ الدليل العقليِّ يقتضيه محلُّ بحثٍ كما لا يَخْفَى، ومَن رجع إلى كلام أهل الهيئة المحدَثين، ونظر في أدلتهم على ما قالوه في أمر الأجرام العلوية وكيفيةِ ترتيبها، قَوِيَ عنده وَهْنُ ما ذهب إليه المتقدِّمون في ذلك.

---

(١) في (م): روي.

فالذي ينبغي أن يقال: البروجُ هي المنازل للكواكب مطلقاً، التي يشاهدها الخواصُّ والعوامُّ، وما علينا في أيِّ سماء كانت، أو الكواكب أنفسُها أينما كانت، أو أبوابُ السماء الواردة في لسان الشرع والأحاديثِ الصحيحة، وهي لكلِّ سماءٍ، ولم يثبت للعرش ولا للكرسيِّ منها شيءٌ، ويراد بالسماء جنسُها أو السماءُ الدنيا في غير القول الأخير على ما سمعتَ فيما تقدَّم، فلا تغفل.

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢﴾ أي: الموعودِ به، وهو يومُ القيامة باتِّفاق المفسرين.

وقيل: لعله اليومُ الذي يخرج الناسُ فيه من قبورهم، فقد قال سبحانه: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ۝٤٣ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ﴾ [المعارج: ٤٣-٤٤] أو يوم طيِّ السماء كطيِّ السجلِّ للكتب.

وقيل: يمكن أن يراد به يومُ شفاعةِ النبيِّ ﷺ، على ما أشار إليه قولُه تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩] ولا يَخْفَى أنَّ جميع ذلك داخلٌ في يوم القيامة.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ أي: ومَن يشهدُ ذلك[١] اليوم ويحضُره من الخلائق المبعوثين فيه، وما يَحْضُر فيه من الأهوال والعجائب، فيكون الله عزَّ وجلَّ قد أقسم سبحانه بيوم القيامة وما فيه تعظيماً لذلك اليوم، وإرهاباً لمنكريه. وتنكيرُ الوصفين للتعظيم، أي: وشاهدٍ ومشهودٍ لا يُكْتَنَه وَصْفُهما، أو للتكثير كما قيل في ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤].

وأخرج الترمذيُّ وجماعةٌ عن أبي هريرة مرفوعاً: «الشاهد يومُ الجمعة، والمشهودُ يومُ عرفة»[٢] وروي ذلك عن أبي مالك الأشعري وجبير بن مطعم رضي الله عنهما

---

(١) في (م): بذلك.

(٢) سنن الترمذي (٣٣٣٩). قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة يضعَّف في الحديث. اهـ. ووقع في مطبوع الترمذي: هذا حديث حسن غريب، ولم ترد هذه العبارة في تحفة الأشراف ١٠/١٣٣، ولا في تحفة الأحوذي ٩/٢٥٨. وقد أخرجه موقوفاً على أبي هريرة أحمد (٧٩٧٣)، وقال ابن كثير: وهو أشبه.

مرفوعاً أيضاً[١]. وأخرجه جماعةٌ عن عليٍّ كرم الله تعالى وجهه وغيرِه من الصحابة والتابعين[٢].

وأخرج الحاكم وصحَّحه عنه مرفوعاً أيضاً: «الشاهدُ يومُ عرفةَ ويومُ الجمعة، والمشهودُ يومُ القيامة»[٣].

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن عليٍّ كرم الله تعالى وجهه: الشاهدُ يومُ الجمعة والمشهودُ يومُ النحر[٤].

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما وكرم وجههما أنَّ رجلاً سأله عن ذلك، فقال: هل سألت أحداً قبلي؟ قال: نعم، سألتُ ابن عمر وابن الزبير فقالا: يوم الذبح ويوم الجمعة. قال: لا، ولكنَّ الشاهدَ محمدٌ - وفي روايةٍ: جدِّي رسولُ الله ﷺ - ثم قرأ: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] والمشهودُ يوم القيامة، ثم قرأ: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ

---

(١) حديث أبي مالك أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٦٦، والطبراني في الكبير (٣٤٥٨). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ١٧٣-١٧٤: فيه محمد بن إسماعيل بن عياش عن أبيه، قال أبو حاتم: لم يسمع من أبيه شيئاً. اهـ. قلنا: ويرويه عن أبي مالك شريح بن عبيد؛ قال أبو حاتم في المراسيل: شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري مرسل.
وحديث جبير بن مطعم أخرجه ابن عدي ٥/ ١٧٢٨، وتمَّام كما في الروض البسام (١٣٦٩) من طريق عمار بن مطر، عن مالك، عن عمارة بن عبد الله، عن نافع بن جبير، عن أبيه، عن النبي ﷺ. قال ابن عدي: هذا عن مالك بهذا الإسناد باطل، ليس هو بمحفوظ عنه. اهـ. وعمار بن مطر كذبه أبو حاتم، وقال ابن حبان: كان يسرق الحديث، وقال الدارقطني: ضعيف، وقال ابن عدي: أحاديثه بواطيل. الميزان ٣/ ١٧٠.

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٣٦١، وتفسير الطبري ٢٤/ ٢٦٤-٢٦٥.

(٣) كذا ذكر المصنف، والذي في المستدرك ٢/ ٥١٩ من طريق شعبة قال: سمعت علي بن زيد ويونس بن عبيد يحدثان عن عمار مولى بني هاشم عن أبي هريرة، أما علي فرفعه إلى النبي ﷺ، وأما يونس فلم يَعْدُ أبا هريرة، ثم ذكر الحديث كما أورده المصنف. فلعل الوهم في نسبة الحديث إلى علي ﷺ وقع من قول الحاكم: أما علي فرفعه. . .، والصواب أنه علي بن زيد بن جدعان الذي روى عنه شعبة هذا الحديث. وعلي بن زيد ضعيف كما ذكر الحافظ في التقريب.

(٤) الدر المنثور ٦/ ٣٣٢، ووقع في (م) بدل النحر: النجم، وهو تصحيف.

مَّشۡهُودٞ﴾ [هود: ١٠٣][1] وروى النسائيُّ وجماعةٌ من طرقٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما نحوَه[2].

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه: الشاهدُ الله عز وجل، والمشهودُ يومُ القيامة[3].

وعن مجاهد وعكرمة وعطاء بن يسار: الشاهد آدمُ عليه السلام وذرِّيتُه، والمشهودُ يومُ القيامة.

وعن ابن المسيب: الشاهدُ يومُ التروية، والمشهودُ يومُ عرفة.

وعن الترمذي[4]: الشاهد الحفظة، والمشهود ـ أي: عليه ـ الناس.

وعن عبد العزيز بن يحيى: هما رسولُ الله ﷺ وأمَّتُه عليه الصلاة والسلام. وعنه أيضاً: هما الأنبياء عليهم السلام وأممهم.

وعن ابن جبير ومقاتل: هما الجوارحُ وأصحابها.

وقيل: هما يومُ الاثنين ويوم الجمعة.

وقيل: هما الملائكة المتعاقبون عليهم السلام، وقرآنُ الفجر.

وقيل: هما النجم، والليل والنهار.

وقيل: الشاهد الله تعالى والملائكةُ وأولو العلم، والمشهود به الوحدانية و﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقيل: الشاهد مخلوقاتُه تعالى، والمشهود به الوحدانيةُ.

وقيل: هما الحجرُ الأسود والحجيج.

---

(١) الدر المنثور ٦/ ٣٣٢، وهو في تفسير الطبري ٢٤/ ٢٦٦-٢٦٧. ورواية: جدي رسولُ الله ﷺ، أخرجها الطبراني في الصغير (١١٣٧)، وفيه: الحسين، بدل: الحسن. وفيه أيضاً الآية (٤٥) من سورة الأحزاب بدل الآية (٤١) من سورة النساء.

(٢) سنن النسائي الكبرى (١١٥٩٩)، وتفسير الطبري ٢٤/ ٢٦٦.

(٣) وأخرجه الطبري ٢٤/ ٢٦٩.

(٤) هو الحكيم كما في البحر ٨/ ٤٥٠، والكلام منه.

وقيل: الليالي والأيام وبنو آدم؛ فعن الحسن: ما من يومٍ إلا ينادي: إنِّي يومٌ جديدٌ، وإنِّي على ما يُعْمَلُ فيَّ شهيدٌ، فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني إلى يوم القيامة.

وقيل: أمَّة النبيِّ ﷺ وسائر الأمم.

وجوِّز أن يراد بهما المقرَّبون والعلِّيون؛ لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٠-٢١].

وأن يراد بالشاهد الطفل الذي قال: «يا أماه اصبري فإنك على الحقِّ» كما سيجيء إن شاء الله تعالى، والمشهودُ له أمه والمؤمنون؛ لأنه إذا كانت أمُّه على الحق فسائر المؤمنين كذلك.

وقيل وقيل، وجميعُ الأقوال في ذلك على ما وقفتُ عليه نحوٌ من ثلاثين قولاً، والوصفُ على بعضها من الشهادة بمعنى الحضور ضدّ المغيب، وعلى بعضها الآخر من الشهادة على الخصم أوْ له، وشهادةُ الجوارح بأنْ يُنْطِقها الله تعالى الذي أنطق كلَّ شيءٍ، وكذا الحجرُ الأسود، ولا بُعْدَ في حضوره يوم القيامة للشهادة للحجيج.

وأما شهادةُ اليوم فيمكن أن تكون بعد ظهوره في صورةٍ، كظهور القرآن على صورة الرجل الشاحب إذ يتلقَّى صاحبه عند قيامه من قبره(١)، وظهورِ الموت في صورة كبشٍ يوم القيامة حتى يُذبح بين الجنة والنار(٢)، إلى غير ذلك.

وقال الشهاب: الله تعالى قادرٌ على أن يُحْضِرَ اليومَ ليشهد(٣). ولم يبيِّنْ كيفيةَ ذلك، فإن كانت كما ذكرنا فذاك، وإن كانت شيئاً آخر بأن يُحضِرَ نفسَ اليوم في ذلك اليوم، فالظاهرُ أنه يلزم أن يكون للزمان زمانٌ، وهو وإنْ جوَّزه مَن جوَّزه من المتكلِّمين لكنْ في الشهادة بلسان القال عليه خفاءٌ، ومثلُها نداءُ اليوم الذي سمعتَه

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٩٧٦)، وابن ماجه (٣٧٨١)، وسلف ٥/ ١٠٤.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩)، وسلف ٥/ ١٠٤.

(٣) حاشية الشهاب ٨/ ٣٤٢.

آنفاً عن الحسن إن كان بلسان القال أيضاً دون لسان الحال كما هو الأرجحُ عندي.

واختار أبو حيان من الأقوال على تقدير أن يراد بالشهادة الشهادةُ بالمعنى الثاني القولَ بأنَّ الشاهد مَن يشهد في ذلك اليوم، أعني اليوم الموعود يوم القيامة، وأنَّ المشهود مَن يُشْهَدُ عليه فيه. وعلى تقديرِ أنْ يراد بها الشهادةُ بالمعنى الأول القولَ بأنَّ الشاهد الخلائقُ الحاضرون للحساب، وأنَّ المشهود اليوم(١). ولعل تكرير القسم به وإن اختلف العنوان لزيادة تعظيمه، فتأمَّل.

وجوابُ القسم قيل: هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ﴾ [الآية: ١٠].

وقال المبرِّد: هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [الآية: ١٢] وصرَّح به ابن جُريج، وأخرج ابن المنذر والحاكم وصححه عن ابن مسعود ما يدلُّ عليه(٢).

وقال غير واحد: هو قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾﴾ على حذف اللام منه للطول، والأصل: لَقُتِلَ كما في قوله:

حلفتُ لها بالله حلفةَ فاجرٍ   لناموا فما إنْ من حديثٍ ولا صالي(٣)

وقيل: على حذف اللام و«قد»، والأصل: لقد قُتِلَ، وهو مبنيٌّ على ما اشتهر من أنَّ الماضي المثبتَ المتصرِّفَ الذي لم يتقدَّم معموله تلزمُه اللام و«قد»، ولا يجوز الاقتصارُ على أحدهما إلا عند طول الكلام، كما في قوله سبحانه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩] بعد قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾﴾ إلخ، والبيتِ المذكور، ولا يجوز تقدير اللام بدون «قد» لأنها لا تدخل على الماضي المجرَّد منها، وتمامُ الكلام في محلِّه كشروح «التسهيل» وغيرها.

وأيًّاما كان فالجملة خبرية. وقال بعض المحققين: إنَّ الأظهر أنها دعائيةٌ دالةٌ على الجواب، كأنه قيل: أُقسم بهذه الأشياء إنَّ كفار قريش لملعونون أحقَّاءُ بأن

---

(١) البحر ٨/ ٤٤٩-٤٥٠.

(٢) الدر المنثور ٦/ ٣٣١-٣٣٢، وهو في المستدرك ٢/ ٥١٩، وذكر ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٧٣ هذا القول دون نسبة، ثم تعقبه بقوله: وهذا قبيح لأن الكلام قد طال بينهما.

(٣) البيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص٣٢.

يقال فيهم: قُتلوا، كما هو شأن أصحاب الأخدود؛ لِما أنَّ السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الإيمان، وتصبيرهم على أذية الكفرة، وتذكيرهم بما جرى ممن تقدَّمهم من التعذيب لأهل الإيمان وصَبْرِهم على ذلك، حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يَلْقَون من قومهم، ويعلموا أنهم مثل أولئك عند الله عز وجل في كونهم ملعونين مطرودين[1]. فالقتلُ هنا عبارةٌ عن أشدِّ اللعن والطرد؛ لاستحالة الدعاء منه سبحانه حقيقةً، فأريدَ لازِمُه من السخط والطرد عن رحمته جل وعلا.

وقال بعضهم: الأظهر أن يقدَّر: إنهم لمقتولون كما قُتل أصحابُ الأخدود، فيكون وعداً له ﷺ بقتل الكفرة المتمرِّدين لإعلاء دينه، ويكون معجزةً بقتل رؤوسهم في غزوة بدرٍ. انتهى، وظاهرُه إبقاءُ القتل على حقيقته واعتبارُ الجملة خبريةً، وهو كما ترى.

وحكى في «البحر» أن الجواب محذوفٌ، وتقديره: لتبعثُنَّ ونحوه[2]، وليس بشيءٍ كما لا يخفى.

والأخدود: الخَدُّ، وهو الشقُّ في الأرض، ونحوُهما بناءً ومعنًى: الخَقُّ والأُخْقُوق، ومنه ما جاء في خبر سراقة حين تبع رسول الله ﷺ فساخت قوائمه ـ أي: قوائمُ فرسه ـ في أخاقيقِ جرذان[3].

أخرج مسلم والترمذيُّ والنسائيُّ[4] وغيرُهم من حديث صهيب يرفعه: «كان

---

(١) صاحب هذا القول هو الزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٣٧.

(٢) لم نقف عليه في البحر، وهو في النهر الماد من البحر لأبي حيان أيضاً ٨/ ٤٤٨ (على هامش البحر).

(٣) كذا ذكر المصنف، والصواب أنه ورد في قصة الرجل الذي وقصت به دابته وهو محرم، فقال رسول الله ﷺ: «اغسلوه وكفنوه ولا تخمروا رأسه...» كما ذكر أبو عبيد في غريب الحديث ١/ ٩٥، والزمخشري في الفائق ٤/ ٧٤، وصاحب النهاية (خقق)، وابن الجوزي في غريب الحديث ١/ ٢٩٢، ولفظه عندهم: فوقصت به ناقته في أخاقيق جرذانٍ. وأصله دون هذه العبارة في صحيح مسلم (٩٤) ص٨٦٥ من حديث ابن عباس ﷺ.

(٤) صحيح مسلم (٣٠٠٥)، وسنن الترمذي (٣٣٤٠)، وسنن النسائي الكبرى (١١٥٩٧)، =

ملكٌ من الملوك، وكان لذلك الملك كاهنٌ يكهن له، فقال له ذلك الكاهن: انظروا لي غلاماً فهماً فأعلِّمَه عِلْمي هذا، فإنِّي أخاف أن أموت فينقطعَ منكم هذا العلمُ ولا يكون فيكم مَن يَعْلَمه. فنظروا له غلاماً على ما وَصَفَ، فأمروه أن يَحْضُرَ ذلك الكاهنَ، وأنْ يَخْتلِفَ إليه، فجعل الغلام يختلف إليه، وكان على طريق الغلام راهبٌ في صومعةٍ، فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلَّما مرَّ به، فلم يَزَلْ به حتى أخبره، فقال: إنما أعبد الله تعالى. فجعل الغلام يمكثُ عند الراهب ويُبْطِئُ على الكاهن، فأرسل الكاهن إلى أهل الغلام أنه لا يكاد يَحْضُرني. فأخبر الغلامُ الراهبَ بذلك، فقال له الراهب: إذا قال لك الكاهن أين كنت؟ فقل: عند أهلي. وإذا قال لك أهلك: أين كنت؟ فأخبرهم أنك كنت عند الكاهن.

فبينما الغلام على ذلك إذ مرَّ بجماعةٍ من الناس كثيرةٍ قد حَبَسَتْهم دابةٌ يقال: كانت أسداً. فأخذ الغلام حجراً فقال: اللهمَّ إن كان ما يقول الراهبُ حقًّا فأسألك أن أقتل هذه الدابةَ، وإن كان ما يقوله الكاهن حقًّا فأسألك أن لا أقتلها. ثم رَمَى فقتل الدابةَ، فقال الناس: مَن قتلها؟ فقالوا: الغلام. ففزع الناس وقالوا: قد عَلِم هذا الغلامُ عِلْماً لم يَعْلَمْه أحدٌ! فسمع أعمى فجاءه فقال له: إن أنت رَدَدْتَ بصري فلك كذا وكذا. فقال الغلام: لا أريد منك هذا، ولكن أرأيتَ إن رَجَعَ عليك بصرُك، أتؤمنُ بالذي ردَّه عليك؟ قال: نعم. فردَّ عليه بصره، فآمن الأعمى.

فبلغ الملكَ أمرُهم، فبعث إليهم فأُتي بهم، فقال: لأقتلنَّ كلَّ واحدٍ منكم قِتْلَةً لا أقتلُ بها صاحبَه. فأمر بالراهب والرجل الذي كان أعمى فوُضع المنشارُ على مَفْرِقِ أحدهما فقتله، وقتل الآخر بقتلةٍ أخرى. ثم أمر بالغلام فقال: انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا فألقوه من رأسه. فانطلقوا به إلى ذلك الجبل فلمَّا انتهوا به إلى ذلك المكان الذي أرادوا أن يُلقوه منه جعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ويتردَّوْنَ، حتى لم يبق منهم إلا الغلامُ.

= وأخرجه أيضاً عبد الرزاق (٩٧٥١)، وأحمد (٢٣٩٣١) ونقله المصنف عن الدر المنثور ٦/٣٣٣، وهو موافق للفظ الترمذي وعبد الرزاق.

ثم رجع الغلام، فأمر به الملك أن ينطلقوا به إلى البحر فيُلقوه فيه، فانطُلِقَ به إلى البحر ففرَّقَ الله تعالى الذين كانوا معه وأنجاه الله تعالى، فقال الغلام للملك: إنك لا تقتلني حتى تَصْلُبَني وترميني وتقول: بسم الله ربِّ الغلام. فأمر به فصُلب، ثم رماه وقال: بسم الله ربِّ الغلام. فوضع الغلامُ يده على صدغه حين رُمي ثم مات، فقال الناس: لقد عَلِمَ هذا الغلامُ علماً ما عَلِمَه أحدٌ، فإنَّا نؤمنُ بربِّ هذا الغلام. فقيل للملك: أَجَزِعْتَ أنْ خالفَكَ ثلاثةٌ؟ فهذا العالَم كلُّهم قد خالفوك. فخدَّ أخدوداً، ثم أَلْقَى فيها الحطبَ والنار، ثم جمع الناس فقال: مَن رَجَعَ عن دينه تركناه، ومَن لم يَرْجِعْ ألقيناه في هذه النار. فجعل يلقيهم في تلك الأخدود، فقال: يقول الله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ حتى بلغ ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ وفيه: فأمَّا الغلام فإنه دُفن ثم أُخرج، فيُذكر أنه خرج في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1] وأصبعُه على صدغه كما وضعها حين قُتل.

وفي بعض رواياته[2]: فجاءت امرأةٌ بابنٍ لها صغيرٍ، فكأنها تقاعَسَتْ أن تقع في النار، فقال الصبي: يا أُمَّهْ اصبري فإنك على الحق».

وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن نُجَيٍّ قال: شهدتُ عليًّا كرم الله تعالى وجهه وقد أتاه أسقفُ نجران، فسأله عن أصحاب الأخدود فقصَّ عليه القصة، فقال عليٌّ كرم الله تعالى وجهه: أنا أعلم بهم منك؛ بُعِثَ نبيٌّ من الحبش إلى قومه ـ ثم قرأ رضي الله عنه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨] ـ فدعاهم فتابعه الناس، فقاتلهم فقُتل أصحابه وأُخِذَ فأُوْثِقَ، فانفلت فأنس إليه رجال [يقول: اجتمع إليه رجال] فقاتلهم وقتلوا وأخذ فأوثق، فخدَّدوا أخدوداً وجعلوا فيها النيران، وجعلوا يعرضون الناس، فمن تبع النبيَّ رُمي به فيها، ومَن تابعهم تُرك، وجاءت امرأة في آخر مَن جاء ومعها صبيٌّ لها فجزعت، فقال الصبيُّ: يا أمَّه اصبري ولا تُماري. فوقعت[3].

---

(١) كذا وقعت العبارة في الدر المنثور، وجاء في سنن الترمذي ومصنف عبد الرزاق: فأما الغلام فإنه دفن، فيذكر أنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب... إلخ، ولم ترد هذه الزيادة في باقي المصادر.

(٢) وهي رواية مسلم وأحمد والنسائي.

(٣) الدر المنثور ٦/٣٣٣، وما بين حاصرتين منه.

وأخرج عبد بن حميد عنه كرم الله تعالى وجهه أنه قال: كان المجوس أهلَ كتابٍ، وكانوا متمسِّكين بكتابهم، وكانت الخمرةُ قد أُحِلَّتْ لهم، فتناول منها ملكٌ من ملوكهم فغلبته على عقله، فتناول أخته أو ابنته فوقع عليها، فلمَّا ذهب عنه السُّكْر ندم وقال لها: ويحك ما هذا الذي أتيتُ؟ وما المخرجُ منه؟ قالت: المخرج منه أن تخطب الناس فتقول: أيها الناس إن الله تعالى أحلَّ نكاح الأخوات أو البنات. فقال الناس جماعتُهم: معاذ الله تعالى أن نؤمن بهذا أو نقرَّ به، أو جاء به نبيٌّ، أو نزل علينا في كتاب. فرجع إلى صاحبته، وقال: ويحك! إنَّ الناس قد أبوا عليَّ ذلك. قالت: إن أبوا عليك فابسُطْ فيهم السوطَ. فبسط فيهم السوط، فأبوا أن يُقِرُّوا، قالت: فجرِّد فيهم السيف. فأبوا أن يُقرُّوا، قالت: فخُدَّ لهم الأخدود ثم أوقد فيها النيران، فمن تابعك خلِّ عنه. فخدَّ لهم أخدوداً وأوقد فيها النيران، وعرض أهلَ مملكته على ذلك، فمن أبى قذفه في النار، ومَن لم يأبَ خلَّى عنه[1].

وقيل: وقع إلى نجران رجلٌ ممن كان على دين عيسى عليه السلام، فأجابوه، فسار إليهم ذو نواس اليهوديُّ بجنودٍ من حِمْيَر، فخيَّرهم بين النار واليهودية، فأبوا فأحرق منهم اثني عشر ألفاً في الأخاديد. وقيل: سبعين ألفاً. وذُكر أنَّ طول الأخدود أربعون ذراعاً، وعرضه اثنا[2] عشر ذراعاً.

ولاختلاف الأخبار في القصة اختلفوا في موضع الأخدود؛ فقيل: بنجران؛ لهذا الخبر الأخير. وقيل: بأرض الحبشة لخبر ابن نُجَيٍّ السابق.

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة عن عليٍّ كرم الله تعالى وجهه أنه كان بمذارع اليمن[3]، أي: قراه، وهذا لا ينافي كونه بنجران؛ لأنه بلدٌ باليمن.

---

(١) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢٧٠-٢٧١.

(٢) في الأصل و(م): اثني، والمثبت من الكشاف ٤/ ٢٣٨، وتفسير الرازي ٣١/ ١١٨، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٨٨، وتفسير أبي السعود ٩/ ١٣٦.

(٣) الدر المنثور ٦/ ٣٣٢، وأخرجه أيضاً الطبري ٢٤/ ٢٧١-٢٧٢، ووقع في الأصل و(م): بمذراع، والصواب ما أثبتناه. والمذارع: هي القرى القريبة من الأمصار، وقيل: هي قرًى بين الريف والبر. النهاية (ذرع).

وكذا اختلفوا في أصحاب الأخدود لذلك، فحكي فيه ما يزيد على عشرة أقوالٍ؛ منها أنهم حبشةٌ، ومنها أنهم من النَّبط، وروي عن عكرمة، ومنها أنهم من بني إسرائيل، وروي عن ابن عباس. وأصحُّ الروايات عندي في القصة ما قدَّمناه عن صهيبٍ ﵁، والجمعُ ممكنٌ، فقد قال عصام الدين: لعل جميع ما روي واقعٌ، والقرآن شاملٌ له، فلا تغفل.

وقرأ الحسن وابن مقسم: «قتِّل» بالتشديد[١]، وهو مبالغةٌ في لعنهم لعظم ما أتوا به. وقد كان ﷺ ـ على ما أخرج ابن أبي شيبة عن عوفٍ، وعبد بنُ حميد عن الحسن ـ إذا ذكر أصحاب الأخدود تعوَّذ من جهد البلاء[٢].

﴿ٱلنَّارِ﴾ بدلُ اشتمالٍ من «الأخدود» والرابطُ مقدَّرٌ، أي: فيه، أو أقيم «أل» مقام الضمير، أو لأنه معلومٌ اتصالُه به فلا يحتاج لرابطٍ، وكذا كلُّ ما يظهر ارتباطه فيما قبلُ، وجوَّز أبو حيان كونَه بدلَ كلٍّ من كلٍّ على تقدير محذوفٍ، أي: أخدود النار[٣]، وليس بذاك.

وقرأ قوم: «النارُ» بالرفع[٤]؛ فقيل: على معنى: قتلَتْهم النارُ، كما في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧] على قراءة «يسبَّح» بالبناء للمفعول[٥]، وقوله:

لِيُبْكَ يزيدُ ضارعٌ لخصومةٍ[٦]

ويكون أصحاب الأخدود إذ ذاك المؤمنين، وليس المراد بالقتل اللعنَ، وجوِّز أن يراد بهم الكفرة والقتلُ على حقيقته بناءً على ما قال الربيع بن أنس والكلبيُّ

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٧١، والبحر ٨/ ٤٥٠.

(٢) الدر المنثور ٦/ ٣٣٣، وهو في مصنف ابن أبي شيبة ١٣/ ٢٢٧ من طريق عوف عن الحسن. والحديث مرسل.

(٣) البحر ٨/ ٤٥٠.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٩٢، والمحرر الوجيز ٥/ ٤٦٢، والبحر ٨/ ٤٥٠.

(٥) وهي قراءة ابن عامر وشعبة كما في التيسير ص١٦٢.

(٦) سلف ٤/ ٢٣١ و٧/ ٤٧.

وأبو العالية وابن إسحاق[١] من أنَّ الله تعالى بعث على المؤمنين ريحاً فقبضت أرواحهم، وخرجت النارُ فأحرقت الكافرين الذين كانوا على حافتي الأخدود، وأنت تعلم أنَّ قول هؤلاء مخالفٌ لقول الجمهور، ولِمَا دلَّت عليه القصص التي ذكروها، فلا ينبغي أن يعوَّل عليه، وأنَّ حملَ القتل على حقيقته غيرُ ملائم للمقام.

ولعل الأَوْلى في توجيه هذه القراءة أنَّ النار خبر مبتدأ محذوفٍ، أي: هي - أو: هو - النارُ، ويكون الضمير راجعاً على الأخدود، وكونُه النارَ خارجٌ مخرجَ المبالغة كأنه نفسُ النار.

﴿ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾ وصفٌ لها بغاية العظمة وارتفاعِ اللهب وكثرةِ ما يوجبُه، ووجهُ إفادته ذلك أنه لم يقل: موقدة، بل جُعلت ذاتَ وقودٍ، أي: مالِكَتَه، وهو كنايةٌ عن زيادته زيادةً مفرطةً لكثرة ما يرتفع به لهبُها، وهو الحطبُ الموقَدُ به؛ لأن تعريفه استغراقيٌّ، وهي إذا مَلَكتْ كلَّ موقودٍ به عَظُم حريقُها ولهبها، وليس ذلك لأنه لا يقال ذو كذا إلا لمن كثر عنده كذا؛ لأنه غيرُ مسلَّم، وذو النون يأباه، وكذا ذو العرش.

وقرأ الحسن وأبو رجاء وأبو حيوة وعيسى: «الوُقود» بضم الواو[٢]، وهو مصدرٌ، بخلاف مفتوحِه فإنه ما يُوقَدُ به. وقد حكى سيبويه أنه مصدرٌ كمضمومه[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦﴾ ظرفٌ لـ «قتل»، أي: لُعنوا حين أَحْدَقوا بالنار قاعدين حولها في مكانٍ قريبٍ منها، مشرفينَ عليها من حافات الأخدود، كما في قول الأعشى:

تُشَبُّ لمقرورَيْنِ يَصْطَليانِها   وبات على النار النَّدَى والمحلَّقُ[٤]

---

(١) في الأصل و(م): وأبو إسحاق، والمثبت من المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٢، والبحر ٨/ ٤٥٠، وعنه نقل المصنف.

(٢) القراءات الشاذة ص١٧١، والبحر ٨/ ٤٥٠.

(٣) الكتاب ٤/ ٤٢.

(٤) ديوان الأعشى ص٢٧٥، والبيت من قصيدة في مدح المحلَّق بن حنتم بن شداد. قال شارح الديوان: أي: بات عليها اثنان يستدفئان من البرد ويسمُران، وهما الكرم والمحلَّق.

وقيل: الكلام بتقدير مضافٍ، أي: على حافاتها، أو نحوه، والجمهور على أنَّ المراد ذلك من غير تقدير.

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾ أي: يَشْهدُ بعضهم لبعض عند الملك بأنَّ أحداً لم يقصِّر فيما أُمر به، أو يشهدون عنده على حُسْنِ ما يفعلون واشتمالِه على الصلاح على ما قيل، أو يشهد بعضُهم على بعض بذلك الفعل الشنيع يوم القيامة، أو يشهدون على أنفسهم بذلك يوم تشهد عليهم جوارحُهم بأعمالهم.

وقيل: «على» بمعنى «مع»، والمعنى: وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين من العذاب حضورٌ، لا يَرِقُّون لهم لغايةِ قسوة قلوبهم.

ومَن زعم أنَّ الله تعالى نجَّى المؤمنين وإنما أحرق سبحانه الكافرين، يقول هنا: المراد: وهم على ما يريدون فِعْلَه بالمؤمنين شهودٌ.

وأيًّاما كان ففي «المؤمنين» تغليبٌ، والمراد: بالمؤمنين والمؤمنات.

ومن الغريب الذي لا يُلتفت إليه ما قيل: إنَّ أصحاب الأخدود عمرو بن هند ـ المشهور بمحرِّقٍ ـ ومَن معه، حرَّق مئةً من بني تميم، وضمير «هم على ما يفعلون» لكفار قريش الذين كانوا يفتنون المؤمنين والمؤمنات.

﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ﴾ أي: ما أنكروا منهم وما عابوا، وفي «مفردات» الراغب: يقال: نَقَمْتُ الشيء، إذا أنكرته بلسانك أو بعقوبة[١].

وقرأ زيد بن عليٍّ وأبو حيوةَ وابنُ أبي عبلةَ «وما نَقِموا» بكسر القاف[٢].

والجملة عطفٌ على الجملة الاسمية، وحسَّن ذلك ـ على ما قيل ـ كونُ تلك الاسمية لوقوعها في حيز «إذ» ماضويةً، فكان العطفُ عطفَ فعليةٍ على فعليةٍ.

وقيل: إن هذه الفعلية بتقدير: وهم ما نقموا منهم.

﴿إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨﴾ استثناءٌ مفصِحٌ عن براءتهم عمَّا يعاب وينكَرُ بالكلِّية، على منهاج قوله:

---

(١) مفردات الراغب (نقم).
(٢) القراءات الشاذة ص١٧١، والبحر ٨/ ٤٥١.

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنَّ سيوفَهم بهنَّ فلولٌ من قِرَاعِ الكتائبِ(١)

وكونُ الكفرة يرون الإيمان أمراً منكَراً والشاعرُ لا يرى الفلولَ كذلك لا يضرُّ على ما أرى في كون ذلك منه عز وجل جارياً على ذلك المنهاج من تأكيد المدح بما يُشْبِهُ الذمَّ، ثم إنَّ القوم إن كانوا مشركين فالمنكَرُ عندهم ليس هو الإيمانَ بالله تعالى، بل نفيَ ما سواه من معبوداتهم الباطلةِ، وإن كانوا معطِّلةً فالمنكَرُ عندهم ليس إلا إثباتَ معبودٍ غيرِ معهودٍ لهم لكن لَمَّا كان مآلُ الأمرين إنكارَ المعبود بحقٍّ، الموصوفِ بصفات الجلال والإكرام، عبّر بما ذكر مفصحاً عما سمعتَ، فتأمل.

ولبعض الأعلام كلامٌ في هذا المقام قد ردَّه الشهاب(٢)، فإنْ أَرَدْتَه فارْجِعْ إليه.

وفي «المنتخب»(٣): إنما قال سبحانه: ﴿إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟﴾ لأن التعذيب إنما كان واقعاً على الإيمان في المستقبل، ولو كفروا فيه لم يعذَّبوا على ما مضى، فكأنه قال عز وجل: إلا أن يَدُوموا على إيمانهم. انتهى، وكأنه حمل النقم على الإنكار بالعقوبة.

ووَصْفُه عز وجل بكونه عزيزاً غالباً يُخْشَى عقابُه وحميداً مُنْعِماً يُرْجَى ثوابُه، وتأكيدُ ذلك بقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ للإشعار بمناطِ إيمانهم.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾ وعدٌ لهم ووعيدٌ لمعذِّبيهم، فإنَّ علم الله جلَّ شأنه الجامع لصفات الجلال والجمال بجميع الأشياء التي من جملتها

(١) البيت للنابغة، وهو في ديوانه ص١١، والكشاف ٤/ ٢٣٨، والفلول: الثُّلَم. القاموس (فلل).

(٢) في الحاشية ٨/ ٣٤٤.

(٣) كما في البحر ٨/ ٤٥١، وعنه نقل المصنف، والمنتخب كما ذكر أبو حيان في البحر ١/ ١٦١ لأبي عبد الله محمد بن أبي الفضل المرسي، وهو شرف الدين محمد بي عبد الله بن محمد بن أبي الفضل، الأديب النحوي المفسِّر المحدِّث الفقيه، له التفسير الكبير، واسمه «ري الظمآن» قصد فيه ارتباط الآي بعضها ببعض، والتفسير الأوسط، والتفسير الصغير، والكافي في النحو، ومختصر صحيح مسلم، توفي سنة (٦٥٥هـ). معجم الأدباء ١٨/ ٢٠٩، والأعلام ٦/ ٢٣٣.

أعمالُ الفريقين يستدعي توفيرَ جزاء كلٍّ منهما، ولكونه تذييلاً لذلك واللائقُ به الاستقلالُ جيء فيه بالاسم الجليل دون الضمير.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي: مَحَنوهم في دينهم ليرجعوا عنه، والمراد بـ «الذين فتنوا» وبـ «المؤمنين والمؤمنات» المفتونين؛ إما أصحابُ الأخدود والمطرَحون فيه خاصةً، وإما الأعمُّ ويدخل المذكورون دخولاً أوَّليًّا، وهو الأظهر.

وقيل: المراد بالموصول كفارُ قريش الذين عذَّبوا المؤمنين والمؤمنات من هذه الأمة بأنواعٍ من العذاب. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾ قال ابن عطية: يقوِّي أنَّ الآية في قريش؛ لأنَّ هذا اللفظَ فيهم أحكمُ منه في أولئك الذين قد عُلم أنهم ماتوا على كفرهم، وأما قريشٌ فكان فيهم وقتَ نزولها مَن تاب وآمن[1]. وأنت تعلم أنَّ هذا على ما فيه لا يعكِّر على أظهرية العموم.

والظاهر أنَّ المراد: ثم لم يتوبوا من فَتْنِهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ أي: بسبب فَتْنِهم ذلك ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ وهو نارٌ أخرى زائدةُ الإحراق كما تُنْبئ عنه صيغةُ فَعيل، لعدم توبتهم ومبالاتهم بما صدر منهم.

وقال بعض الأجلَّة: أي: فلهم عذاب جهنم بسبب كفرهم فإنَّ فعلهم ذلك لا يتصوَّر من غير الكافر، ولهم عذاب الحريق بسبب فتنهم المؤمنين والمؤمنات، وفي جَعْلِ ذلك جزاءَ الفتن من الحسن ما لا يخفى.

وتعقِّب بأنَّ عنوان الكفر لم يصرَّح به في جانب الصلة، وإنما المصرَّحُ به الفتن وعَدَمُ التوبة، فالأظهرُ اعتبارهما سببين في جانب الخبر على الترتيب.

وقيل: أي: فلهم جهنمُ في الآخرة، ولهم عذابُ الحريق في الدنيا، بناءً على ما روي عن الربيع ومَن سمعتَ أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم، وقد علمتَ حاله.

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٢.

وتعقَّبه أبو حيان بأنَّ «ثم لم يتوبوا» يأبى عنه؛ لأنَّ أولئك المحرِقين لم يُنْقَل لنا أنَّ أحداً منهم تاب، بل الظاهرُ أنهم لم يُلعنوا إلَّا وهم قد ماتوا على الكفر[1]. وفيه نظر.

وعليه[2] إنما أُخِّر «ولهم عذاب الحريق» رعايةً للفواصل، أو للتتميم[3] والترديف، كأنه قيل: ذلك ـ وهو العقوبةُ العظمى ـ كائنٌ لا محالةَ، وهذا أيضاً لا يتجاوزونه.

وفي «الكشف»: الوجه أنَّ عذاب جهنم وعذابَ الحريق واحدٌ، وُصِفَ بما يدلُّ على أنه للمبعودين جدًّا عن رحمته عز وجل، وعلى أنه عذابٌ هو محضُ الحريق، وهو الحَرْقُ البالغُ وكفى به عذاباً.

والظاهر أنه اعتبر «الحريق» مصدراً والإضافةَ بيانيةً، ولا بأس بذلك، إلا أنَّ الوحدة التي ادَّعاها خلافُ ظاهر العطف.

وقال بعضهم: لو جُعِلَ من عطف الخاصِّ على العامِّ للمبالغة فيه؛ لأن عذاب جهنم بالزمهرير والإحراق وغيرهما، كان أقرب. ولعل ما ذكرناه أبعدُ عن القال والقيل.

وجملة «فلهم عذاب» إلخ وقعت خبراً لـ «إنَّ»، أو الخبر الجارُّ والمجرور و«عذاب» مرتفعٌ به على الفاعلية، وهو الأحسن. والفاء لِما في المبتدأ من معنى الشرط، ولا يضرُّ نسخُه بـ «إنَّ» وإنْ زَعَمَه الأخفش.

واستُدلَّ بالآية على بعض أوجُهها على أن عذاب الكفار يضاعَفُ بما قارنه من المعاصي.

---

(١) البحر ٨/ ٤٥١، وقد تعقب أبو حيان بكلامه هذا القول بأن المراد بـ «الذين فتنوا» أصحابُ الأخدود خاصة، وبـ «المؤمنين والمؤمنات» المطروحون في الأخدود، وكلام الربيع المذكور قبله يقتضي ذلك، فإن ما ذكره من أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم يقتضي تخصيص «الذين فتنوا» بأصحاب الأخدود، وينظر الكشاف ٤/ ٢٣٩، وقد استظهر أبو حيان أن «الذين فتنوا» عامٌّ في كل من ابتلَى المؤمنين والمؤمنات بتعذيب أو أذًى.

(٢) أي: على القول بأن لهم عذاب جهنم في الآخرة، ولهم عذاب الحريق في الدنيا.

(٣) التتميم: هو أن يؤتى في كلام لا يوهم غيرَ المراد بفَضْلةٍ تفيدُ نكتةً. الإتقان ٢/ ٨٧١.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ على الإطلاق من المفتونين وغيرهم ﴿لَهُمْ﴾ بسبب ما ذكر من الإيمان والعمل الصالح ﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ إنْ أُريدَ بالجنات الأشجارُ فجريان الأنهار من تحتها ظاهرٌ، وإنْ أريد بها الأرض المشتملةُ عليها فالتحتيةُ باعتبار جزئها الظاهر، فإنَّ أشجارها ساترةٌ لساحتها كما يُعرب عنه اسمُ الجنة.

وفصلُ الجملة؛ قيل: لأنها كالتأكيد لِما أَشْعَرتْ به الآيةُ قبلُ من اختصاص العذاب بالذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا.

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى كون ما ذكر لهم وحيازتهم إياه، وقيل: للجنات الموصوفة، والتذكيرُ لتأويلها بـ: ما ذُكر، وما فيه من معنى البُعْدِ للإيذان بعلوِّ الدرجة وبُعْدِ المنزلة في الفضل والشرف.

ومحلُّه الرفع على الابتداء، خبرُه ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ الذي يصغُرُ عنده الفوزُ بالدنيا وما فيها من الرغائب. والفوزُ: النجاة من الشرِّ والظفرُ بالخير، فعلى الوجه الثاني في الإشارة هو مصدرٌ أطلق على المفعول مبالغةً، وعلى الأول مصدرٌ على حاله.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ استئنافٌ خوطب به النبيُّ ﷺ إيذاناً بأنَّ لكفار قومه نصيباً موفوراً من مضمونه كما ينبئُ عنه التعرُّضُ لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام.

والبطشُ: الأخذ بصولةٍ وعنفٍ، وحيثُ وُصِفَ بالشدة فقد تضاعَفَ وتفاقَمَ، وهو بطشُه عز وجل بالجبابرة والظَّلَمة، وأَخْذُه سبحانه إياهم بالعذاب والانتقام.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾ أي: إنه عز وجل هو يُبْدِئُ الخلق بالإنشاء، وهو سبحانه يعيدُه بالحشر يوم القيامة كما قال ابن زيد والضحاك. أو: يبدِئُ كلَّ ما يُبْدَأُ ويعيد كلَّ ما يعاد كما قال ابن عباس، من غير دَخْلٍ لأحدٍ في شيءٍ منهما، ومَن كان كذلك كان بطشُه في غاية الشدة.

أو: يُبدِئُ البطش بالكفرة في الدنيا ثم يعيده في الآخرة.

وعلى الوجهين الجملةُ في موضع التعليل لِما سبق، ووجهُه على الثاني ظاهرٌ، وعلى الأول قد أشرنا إليه، وقيل: وجهُه عليه أنَّ الإعادة للمجازاة فهي متضمِّنةٌ للبطش. وليس بذاك.

وعن ابن عباس: يبدئُ العذاب بالكفار ويُعيده عليهم فتأكلهم النار حتى يصيروا فحماً، ثم يعيدهم عز وجل خَلْقاً جديداً. وفيه خفاءٌ وإن كان أمرُ الجملة عليه في غاية الظهور.

واستعمالُ «يبدئ» مع «يعيد» حَسَنٌ، وإن لم يُسمع «أَبْدأ» كما بيِّن في محلّه، وحكى أبو زيد أنه قرئ: «يَبدأ» من بَدَأ ثلاثيًّا، وهو المسموعُ لكنَّ القراءة بذلك شاذةٌ[1].

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لمن يشاء من المؤمنين. وقيل: لمن تاب وآمن، والتخصيصُ عند مَن يَرَى رأيَ أهل السنَّة إما لمناسبةِ مقام الإنذار، أو لِمَا في صيغة «الغفور» من المبالغة، فأصلُ المغفرة لا يتوقَّفُ على التوبة، وزيادتُها بما لا يعلمه إلا الله تعالى للتائبين.

﴿ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾ المحبُّ كثيراً لمن أطاع، ففَعُولٌ صيغةُ مبالغةٍ في الوادّ اسم فاعل، ومحبةُ الله تعالى ومودَّتُه عند الخَلَفِ بإنعامه سبحانه وإكرامه جلَّ شأنه، ومن هنا فسِّر الودود بكثير الإحسان. وعن ابن عباس: أي: المتودِّد إلى عباده تعالى شأنُه بالمغفرة.

وقيل: هو فعولٌ بمعنى مفعول، كرَكُوبٍ وحَلُوبٍ، أي: يودُّه ويحبُّه سبحانه عبادُه الصالحون. وهو خلافُ الظاهر.

وحكى المبرِّد عن القاضي إسماعيل بن إسحاق أنَّ الودود هو الذي لا ولد له، وأنشد قوله:

وأركبُ في الرَّوْع عُرْيانةً ذلولَ الجماحِ لقاحاً ودودا

---

(١) القراءات الشاذة ص ١٧١، والبحر ٨/ ٤٥١.

أي: لا ولد لها تحنُّ إليه(١). وحَمْلُه مع «الغفور» على هذا المعنى غيرُ مناسبٍ كما لا يخفى.

﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ أي: صاحبه، والمراد: مالكه أو خالقه، وهو أعظم المخلوقات، وعن عليٍّ كرم الله تعالى وجهه: لو جُمعتْ مياه الدنيا ومُسِحَ بها سطحُ العرش الذي يلينا لَما استُوعِبَ منه إلا قليلٌ. وجاء في الأخبار من عظمه ما يبهر العقول.

وقال القفَّال: «ذو العرش»: ذو المُلْكِ والسلطان. كأنه جَعَلَ العرش بمعنى المُلْكِ بطريق الكناية والتجوُّزِ، وجوَّز أن يبقى العرش على حقيقته ويرادَ بذي العرش المَلِكُ؛ لأنَّ ذا العرش لا يكون إلا مَلِكاً.

وقرأ ابن عامر في روايةٍ: «ذي العرش» بالياء(٢) على أنه صفةٌ لـ «ربك»، وحينئذٍ يكون قوله تعالى: (إِنَّهُۥ هُوَ) إلخ جملةً معترضةً لا يضرُّ الفَصْلُ بها بين الصفة والموصوف، وكذا لا يضرُّ الفصل بينهما بخبر المبتدأ لأنه ليس بأجنبيٍّ؛ فإنَّ الموصوف هنا من تتمة المبتدأ، وقد قال ابن مالك في «التسهيل»: يجوزُ الفَصْلُ بين التابع والمتبوع بما لا يتمحَّضُ مباينتُه(٣). نعم قال ابن الحاجب: الفصلُ بين الصفة والموصوف بخبر المبتدأ شاذٌّ كما في قوله:

وكلُّ أخٍ مُفارِقُه أخوه ... لعمرُ أبيك إلا الفرقدان(٤)

﴿الْمَجِيدُ ۝١٥﴾ العظيم في ذاته عز وجل وصفاتِه سبحانه، فإنه تعالى شأنه واجبُ الوجود، تامُّ القدرة، كاملُ الحكمة.

وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وابن وثاب والأعمش والمفضَّل عن عاصم

---

(١) النكت والعيون ٦/ ٢٤٣، وتفسير القرطبي ٢٢/ ١٩٦، والبحر ٨/ ٤٥١-٤٥٢. والبيت في تفسير الرازي ٣١/ ١٢٤، واللسان والتاج (ودد) برواية:

وأعددتُ للحرب خَيْفانةً ... جَمُومَ الجِرَاءِ وَقَاحاً وَدُودا

(٢) القراءات الشاذة ص١٧١، والبحر ٨/ ٤٥٢.

(٣) التسهيل ص١٦٣.

(٤) سلف ١١/ ١٩٢. قوله: إلّا الفرقدان، «إلّا»، بمعنى غير، أي: غير الفرقدين. وهو صفة كُلّ، فَفُصل بينهما بالخبر، وهو: مُفارِقُه أخوه. ينظر مشكل إعراب القرآن ٢/ ٥٤٩.

والأخوان: «المجيدِ» بالجرِّ[(١)] صفةً للعرش، ومجدُه علوُّه وعظمتُه وحُسْنُ صورته وتركيبِه؛ فإنه قيل: العرش أحسن الأجسام صورةً وتركيباً، وليس من مجده كونُ الحوادث الكونية بتوسُّط أوضاعه كما يزعمه المنجِّمون، فإنَّ ذلك باطلٌ شرعاً وعقلاً على ما تقتضيه أصولُهم. وجاز على قراءة «ذي العرش» بالياء أن يكون صفةً لـ «ذي».

وجوَّز كونُه صفةً لـ «ربك»، وليس بذاك لأنَّ الأصل عدمُ الفصل بين التابع والمتبوع، فلا يقال به ما لم يتعيَّن.

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ بحيث لا يتخلَّف عن إرادته تعالى [مرادٌ][(٢)] من أفعاله سبحانه وأفعالِ غيره عز وجل، فـ «ما» للعموم، وفي التنكير من التفخيم ما لا يخفى، وفيه ردٌّ ظاهرٌ على المعتزلة في قولهم: إنه سبحانه وتعالى يريد إيمان الكافر وطاعةَ العاصي ويتخلَّفان عن إرادته سبحانه.

والمرفوعاتُ كلُّها على ما استحسنه أبو حيان[(٣)] أخبارٌ لـ «هو» في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ وجوَّز أن يكون «الودود» و«ذو العرش» و«المجيد» صفاتٍ لـ «الغفور»، ومَن لم يجوِّز تعدُّد الخبر لمبتدأ واحدٍ يقول بذلك، أو بتقدير مبتدآت للمذكورات.

وأطلق الزمخشريُّ القولَ بأنَّ «فعَّالٌ» خبرٌ لمبتدأ محذوف[(٤)]، أي: هو فعالٌ. فقال صاحب «الكشف»: إنما لم يحمله على أنه خبر السابق - أعني «هو» في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ - لأن قوله سبحانه: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ تحقيقٌ للصفتين: البطشِ بالأعداء والغفرِ والودِّ للأولياء، ولو حُمِلَ عليه لفاتت هذه النكتة. اهـ وهو تدقيقٌ لطيفٌ.

وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾﴾ استئنافٌ فيه تقريرٌ لكونه تعالى فعَّالاً لِما يريد، وكذا لشدَّةِ بطشه سبحانه بالظَّلمة العصاة والكَفَرةِ العتاةِ، وتسليةٌ له ﷺ

---

(١) التيسير ص٢٢١، والنشر ٢/ ٣٩٩ عن حمزة والكسائي وخلف، والكلام من البحر ٨/ ٤٥٢.
(٢) ما بين حاصرتين من تفسير أبي السعود ٩/ ١٣٨.
(٣) في البحر ٨/ ٤٥٢.
(٤) الكشاف ٤/ ٢٣٩.

بالإشعار بأنه سيصيب كَفَرةَ قومه ما أصاب الجنود، وهو جمعُ جُنْدٍ يقال للعسكر اعتباراً بالغلظة، من الجَنَد أي: الأرض الغليظة، وكذا للأعوان، ويقال لصنفٍ من الخلق على حِدَةٍ، وكذا لكلِّ مجتمع.

والمراد بالجنود هاهنا الجماعات الذين تجنَّدوا على أنبياء الله تعالى عليهم السلام واجتمعوا على أذيتهم.

﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨﴾ بدلٌ من «الجنود» بدلَ كلٍّ من كلٍّ على حذف مضافٍ، أي: جنودِ فرعون، أو على أن يراد بـ «فرعون» هو وقومه، واكتفى بذكره عنهم لأنهم أتباعُه.

وقيل: البدلُ هو المجموعُ لا كلٌّ من المتعاطفين. وهو خلافُ الظاهر.

وقال السمين: يجوز كونُه منصوباً بأعني؛ لأنه لَمَّا لم يطابق ما قبله وجب قطعُه(١).

وتعقِّبَ بأنه تفسيرٌ للجنود حينئذٍ، فيعود الإشكال.

وأجيبَ بأنَّ المفسَّر حينئذ المجموعُ، وليس اعتبارُه مع أعني كاعتباره مع الإبدال.

والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال، وما حلَّ بهم من العذاب والنَّكال، والمعنى: قد أتاك حديثُهم وعرفتَ ما فعلوا وما فُعل بهم، فذكِّر قومك بأيام الله تعالى وشؤونه سبحانه، وأنذِرْهم أنْ يصيبهم مثلُ ما أصاب أمثالَهم.

وقوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: من قومك ﴿فِي تَكْذِيبٍ ۝١٩﴾ إضرابٌ انتقاليٌّ عن مماثلتهم لهم، وبيانٌ لكونهم أشدَّ منهم في الكفر والطغيان كما ينبئُ عنه العدولُ عن: يكذبون، إلى: «في تكذيب» المفيدِ لإحاطة التكذيب بهم إحاطةَ الظرف بمظروفه، أو البحرِ بالغريق فيه، مع ما في تنكيره من الدلالة على تعظيمه

---

(١) الدر المصون ١٠/٧٤٩.

وتهويله، فكأنه قيل: ليسوا مثلَهم بل هم أشدُّ منهم، فإنهم غَرْقَى مغمورون في تكذيبٍ عظيمٍ للقرآن الكريم، فهم أوْلَى منهم في استحقاق العذاب.

أو كأنه قيل: ليست جنايتُهم مجرَّدَ عدم التذكُّر والاتِّعاظ بما سمعوا من حديثهم، بل هم مع ذلك في تكذيبٍ عظيم للقرآن الناطق بذلك، وكونِه قرآناً من عند الله تعالى مع وضوح أمره وظهورِ حاله بالبينات الباهرة.

وقولُه تعالى: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾﴾ جوِّز أن يكون اعتراضاً تذييليًّا، وأنْ يكون حالاً من الضمير في الجارِّ والمجرور السابق، والكلامُ تمثيلٌ لعدم نجاتهم من بأس الله تعالى بعدم فَوْتِ المحاطِ المحيطَ كما قال غيرُ واحد، وكأنَّ المعنى: إنه عز وجل عالمٌ بهم وقادرٌ عليهم، وهم لا يُعْجِزونَه ولا يفُوتونه سبحانه وتعالى.

وذكر عصام الدين أنَّ في ذلك تعريضاً وتوبيخاً للكفار بأنهم نبذوا الله سبحانه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الهوى والشهوات بكلِّيتهم، ولعل ذلك من العدول عن: بهم، إلى «من ورائهم».

وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ ردٌّ لكفرهم، وإبطالٌ لتكذيبهم، وتحقيقٌ للحق، أي: بل هو كتابٌ شريفٌ عالي الطبقة فيما بين الكتب الإلهية في النظم والمعنى، لا يحقُّ تكذيبه والكفرُ به.

وقيل: إضرابٌ وانتقالٌ عن الإخبار بشدة تكذيبهم وعدمِ ارْعِوائهم عنه إلى وصف القرآن؛ للإشارة إلى أنه لا ريبَ فيه، ولا يضرُّه تكذيبُ هؤلاء. والأولُ أَوْلَى.

وزَعَم بعضهم أن الإضراب الأول عن قصة فرعون وثمود إلى جميع الكفار، والمعنى عليه: إنَّ جميع الكفار في تكذيب، ولم يكن نبيٌّ فارغاً عن تكذيبهم، والله تعالى لا يهمل(١) أمرهم، وفيه من تسليته ﷺ ما فيه. ويُبْعِدُه إردافُ ذلك بهذا الإضراب.

---

(١) في الأصل: يمهل.

وقرأ ابن السميفع: «قرآنُ مجيدٍ» بالإضافة؛ قال ابن خالويه: سمعت ابن الأنباري يقول: معناه: بل هو قرآنُ ربٍّ مجيدٍ، كما قال الشاعر:

ولـكـنَّ الـغِـنَـى ربٌّ غـفـورٌ(١)

أي: غِنَى ربٍّ غفورٍ. وقال ابن عطية: قرأ اليمانيُّ بالإضافة على أن يكون «المجيد» هو الله تعالى(٢). وهو محتملٌ للتقدير وعَدَمِه.

وجوَّز أن يكون من إضافة الموصوف لصفته؛ قال أبو حيان: وهذا أولى لتوافُق القراءتين(٣).

﴿فِي لَوۡحٖ﴾ أي: كائنٌ في لوح ﴿مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾﴾ أي: ذلك اللوح من وصول الشياطين إليه، وهذا هو اللوحُ المحفوظُ المشهورُ، وهو على ما روي عن ابن عباس والعُهْدة على الراوي: لوحٌ من درَّةٍ بيضاءَ طولُه ما بين السماء والأرض، وعرضُه ما بين المشرق والمغرب، وحافتاه الدرُّ والياقوت، ودفَّتاه ياقوتةٌ حمراء، وقلمُه نورٌ، وهو معقودٌ بالعرش وأصلُه في حجر مَلَك يقال له ساطريون، عز وجل فيه في كلِّ يومٍ ثلاث مئةٍ وستُّون لحظةً يُحيي ويميتُ ويُعزُّ ويُذلُّ ويفعل ما يشاء(٤). وأنه كُتب في صدره: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، دينُه الإسلام، ومحمدٌ عبدُه ورسوله، فمن آمن بالله عز وجل وصدَّق بوعده واتَّبع رسله أدخله الجنة(٥).

---

(١) القراءات الشاذة ص١٧١، ونقله المصنف عنه بواسطة أبي حيان في البحر ٨/ ٤٥٨. ووقع البيت في القراءات الشاذة: ولكن الغِنَى غِنَى غفور. والبيت لعروة بن الورد كما في عيون الأخبار ١/ ٢٤٢، والعقد الفريد ٣٠/ ٢٩، والبيان والتبيين ١/ ٢٣٤، والإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ١/ ٦١، وصدره: قليلٌ ذنبُه والذنبُ جمٌّ، وعجزه في عيون الأخبار والعقد: ولكنْ للغني ربٌّ غفور، وهو في باقي المصادر موافق لما في البحر.

(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٣.

(٣) البحر ٨/ ٤٥٢.

(٤) أخرجه الحاكم ٢/ ٤٧٤، والواحدي في الوسيط ٤/ ٤٦٣ من طريق أبي حمزة الثمالي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. قال الحاكم: صحيح الإسناد. وتعقبه الذهبي بقوله: اسم أبي حمزة ثابت، وهو واهٍ بمرَّة.

(٥) أخرجه الواحدي في الوسيط ٤/ ٤٦٣ من طريق إسحاق بن بشر، عن مقاتل وابن جريج، عن مجاهد، عن ابن عباس. وإسحاق بن بشر هو أبو حذيفة البخاري صاحب كتاب =

وقال مقاتل: إنَّ اللوح المحفوظ عن يمين العرش.

وجاء فيه أخبارٌ غيرُ ذلك، ونحن نؤمنُ به ولا يلزمنا البحثُ عن ماهيته وكيفيةِ كتابته ونحوِ ذلك. نعم نقول: إنَّ ما يزعمه بعض الناس من أنه جوهرٌ مجرَّدٌ ليس في حيِّزٍ، وأنه كالمرآة للصور العلمية، مخالفٌ لظواهر الشريعة، وليس له مستندٌ من كتابٍ ولا سنَّةٍ أصلاً.

وقرأ ابن يعمر وابن السميفع: «لُوحٍ» بضمِّ اللام[1]، وأصله في اللغة الهواء، والمراد به هنا مجازاً: ما فوق السماء السابعة.

وقرأ الأعرج وزيد بن عليٍّ وابن مُحَيْصنٍ ونافعٌ بخلافٍ عنه: «محفوظٌ» بالرفع[2] على أنه صفةٌ لـ «قرآن»، و«في لوح» قيل: متعلقٌ به. وقيل: صفةٌ أخرى لـ «قرآن». وتعقِّب بأنَّ فيه تقديمَ الصفة المركَّبة على المفردة، وهو خلافُ الأصل.

والمعنى عليه، قيل: محفوظٌ بعد التنزيل من التغيير والتبديل والزيادة والنقص، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقيل: محفوظٌ في ذلك اللوحِ عن وصول الشياطين إليه. والله تعالى أعلم.

= المبتدأ، قال الذهبي في الميزان ١/ ١٨٤: تركوه، وكذبه علي بن المديني، وقال الدارقطني: كذاب متروك.

(١) القراءات الشاذة ص١٧١، والكشاف ٤/ ٢٤٠، والبحر ٨/ ٤٥٢.

(٢) التيسير ص٢٢١، والنشر ٢/ ٣٩٩ عن نافع، والكلام من البحر ٨/ ٤٥٣.